ألا النحوية واستعمالاتها في صحيح مسلم .. دراسة بلاغية

د. أحمد حسن علي محمد(*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين..... وبعد

فإن " ألا " كغيرها من الأدوات التي دُرست في كتب النحو دراسة وافية ، وتكلم النحاة عن أصلها، هل هي مركبة أم بسيطة ، وتكلموا عن بعض المعاني التي تكتنفها هذه الأداة، وعن الشروط التي يجب توافرها عند إفادتها لكل معني ، وهذه دراسة أصيلة لابد منها ؛ ولكن يبقي ربط المعاني التي أفادتها بسياقات الكلام وأحوال المخاطبين ، وهذا دور علم البلاغة ، حيث ينظر في التركيب النحوي فيربط بين سياق الكلام وبين مقتضي حال المخاطب ليخرج بالثمرة والنكتة في مجيء التركيب علي هذا الحال ، إذ أنه قد يأتي تركيب نحوي في سياق من الكلام ثم يأتي التركيب نفسه في سياق آخر فيختلف معناه تماماً عن الحالة الأولي، والسرُّ في هذا هو اختلاف المقام ومقتضي الحال، والذي يُوصّف ذلك ويحكم عليه هو علم البلاغة ؛ إذ وظيفة هذا الفن هي معرفة مطابقة الكلام لمقتضي الحال .

وقد قرأت الدراسة النحوية لهذه ،الأداة وتعرفت علي المعاني التي نصَّ النحاة علي أنها يمكن أن تستفاد منها ،فأردت أن أوظّف هذه الدراسة توظيفاً بلاغياً أربط فيه المعني المستفاد منها بالسياق الواردة فيه وحال المخاطب لنري بلاغة المتكلم.

وكان لابد لهذه الدراسة من مجال تُطبق فيه، لنري كيف أثّراختلاف السياق واختلاف أحوال المخاطبين في تغير المعني ، فنظرت فلم أجد كلاماً بشريًا يستحق الوقوف عنده والنظر فيه أجدر ولا أحق من كلام المصطفي ﷺ ، فهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوي ، وهو البليغ الذي فاق البلغاء

(*) مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا – جامعة الأزهر.

جميعًا ، وتحدي أساطين البيان ، فوقع اختياري علي أصل من أصول السنة المطهـرة وهـو صحيح مسلم ليكون محلاً للدراسة ومجالاً للنظر في معاني هـذه الأداة ومـدي تنوعـيها خلال استخدامهﷺ لها ، لنميط اللثام ـ قدر المـستطاع ـ عـن جانـب من البلاغة النبوية التي خلبت ألباب البلغاء وبسحرها تغني الشعراء .

وقـد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتي في فصلين ومقدمة وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع

أمـا الفصل الاول: فقد تناولت فيه الدراسة النحوية لهذه الأداة لتكون كمدخل إلي الدراسةالتطبيقية لمعانيها.

وأمـا الفـصل الثاني: فقد انقسم بطبيعة الدراسة إلي ستة مباحث ليتـناول كل مبحث معني من المعاني التي أفادتها "ألا" حتي يستقل بنفسه ولا يتداخل مع غيره. المبحث الأول :وتناولت فيه استعمال " ألا " لإفادة معنـي التنبيه والاستفتاح. والمبحث الثاني: وتناولت فيه استعمال " ألا " لإفـادة معني الحث والتحضيض. والمبحث الثالث: وتناولت فيه استعمال " ألا " لإفادة معني العرض. والمبحث الرابع: وتناولت فيه استعمال " ألا " لإفادة معني الإنكار والتوبيخ. والمبحث الخامس: وتناولت فيه استعمال " ألا " لإفـادة معنـي اللـوم والعـتاب. والمبحث السادس: وتناولت فيه استعمال " ألا " لإفادة معني التقرير.

الخاتمة : واشتملت علي أهم النتائج التي استخلصتها الدراسة.

هذا وقد بذلت في هذا البحث ما وهبني الله من الجُهد والطاقة، راجيًا مـن الله العفـو عن الزلل والخطأ والتقصير، ومستسمحًا القارىء في إقالة العثرات، فهو أولاً وآخرًا جهد المقل وإشراقة المهل ..... وأنَّ إلي ربِّك المُنتهي .

وصلي اللهم علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه مسلم

الفصل الأول

ألا واستعمالاتها عند النحويين

ألا عند النحويين لها عدة معان تارة تكون استفتاحاً وتنبيهاً ، وتارة تكون للعرض أو التحضيض وتارة تكون للاستفهام ، وتارة تكون للتمنى وغير ذلك من المعانى التى تطرأ عليها حسب السياق الواردة فيه، مما سنتعرضه في ثنايا هذا البحث إن شاء الله ،كما أن ألا عند النحويين مختلف فيها من حيث كونها مركبة من همزه الاستفهام ولا النافية أم أنها بسيطة فتكون حرفاً واحداً وتفصيل ذلك سيتضح من خلال عرضها بمعانيها من خلال كتبهم، وهي على النحو التالى :

ألا الاستفتاحية أو التنبيهية : من أظهر معانى "ألا" عند النحويين أن تكون لمعنى الاستفتاح أو التنبيه ، والغرض منها تنبيه السامع لما سيلقى من كلام بعدها وتوكيد مضمونه، وفي هذا يقول صاحب كتاب شرح كافية بن الحاجب " اعلم أن "ألا وأما" حرفا استفتاح يُبتدأ بهما الكلام وفائدتهما توكيد مضمون الجملة " [1] وتسمى استفتاحية باعتبار موضعها؛ لأنها تقع في ابتداء الكلام ، وهى تدخل على الجملتين_ الاسمية والفعلية_ فمن دخولها الجملة الفعلية قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلين[2]

ومن دخولها على الجملة الاسمية قوله تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ}البقرة: ١٣ قوله تعالى: { أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }هود: ١٨

وقد اختلف النحويون في كونها بسيطة أو مركبة ، فالقول بأنها بسيطة ذهب إليه ابن مالك ، واختاره أبو حيان ، وذهب إليه الزجاجى؛ بل

---

(1) شرح كافية ابن الحاجب للرضى ج٤ ص٤٣١ تحقيق أحمد السيد أحمد ط : المكتبة التوفيقية .

(2) ديوان عمرو بن كلثوم ص١٠١ ت د/ علي أبوزيد ط : دارسعدالدين دمشق الطبعة الأولي ١٩٩١م .

زاد أبو حيان وردّ دعوى التركيب بأن الأصل عدمه ، وبأنها وقعت قبل إنّ ، وربّ ، وليت ، والنداء ولا يصح النفى قبل شئ من ذلك [٣]

وذهب بعض النحاة إلى أنها مركبة من همزة الاستفهام الإنكارى ولا النافية ، ومن هؤلاء ابن الشجرى إذ قال: " من أقسام لا أنهم غيروا بلا أربعة أحرف فنقلوهن عما وضعن له إلى غيره وهن: لو وهل وإن وهمزة الاستفهام فقالوا لولا وهلا وألا وألا خفيفة اللام "[٤]

وهذا أيضا رأى الزمخشرى ، وارتضاه ابن هشام في المغنى فقال: " وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا ، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفى أفادت التحقيق." [٥]

وأولى الرأيين بالقبول: هو القول بأنها بسيطة غير مركبة ،لأن الأصل في الكلمات أنها بسيطة لا مركبة والتمسك بهذا الأصل أولى من القول بفرع لم يقم عليه دليل يؤكده .[٦]

وعلى هذا فخلاصة القول في ألا الاستفتاحية التنبيهية : أنها بسيطة تفيد توكيد مضمون الكلام وتحقيقه ، وهى غير مرتبطة بالجملة في إعرابها، وعلامة ذلك أنها إذا لم تدخل صح الكلام بدونها ، تقول ألا زيد منطلق ، ثم تقول ، زيد منطلق فيصح الكلام .

ألا التى للعرض أو التحضيض : ومن المعانى التى تأتى لها " ألا " أن تكون للعرض أو التحضيض، وتختص حينئذ بالجملة الفعلية، مثال العرض قوله تعالي: { ألا تُحِبُّونَ أن يَغْفِرَ اللّهُ لكُمْ} النور: ٢٢. ومثال التحضيض قوله تعالي:{ ألا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُوا أيْمَانَهُمْ } االتوبة : ١٣. ونلحظ أن

---

(3) يراجع : الجنى الدانى في حروف المعانى للمرادى ص٣٨٣ تحقيق فخر الدين قباوة ط : دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

(4) الأمالى الشجرية لابن الشجرى ج٢ ص٣٢٣ ط : دار المعرفة بيروت .

(5) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى ج١ من ٦٢ ويراجع المفصل في صنعة الإعراب للزمخشرى ص٤٠٩ ط : دار الهلال بيروت ط : أولى ١٩٩٣م تحقيق على أبو ملحم .

(6) يراجع لا واستعمالاتها في القرآن الكريم تأليف أ.د/ على أحمد طلب ص١٦٤ طبع وتوزيع مكتبة الأنصارى . أسيوط .

الفعـل هنا مضارع ، أما إذا جاء الفعل ماضياً أفادت معنىً آخر وهو التوبيخ والإنكار .

يقـول ابن الحاجب " حروف التحضيض معناها الأمر إذا وقع بعدها المضارع ، والتوبيخ إذا وقع بعدها الماضى. " (٧)

ولابـد أن يليها الفعل ظاهراً أو مقدرًا ، بمعنى أنه لو وليها اسم قدر أنـه معمـول لفعل محذوف مثال : ألا النبيل الوديع تصاحبه ، والتقدير ألا تصاحب النبيل الوديع .

وسـبب اختـصاص العرض والتحضيض بالجملة الفعلية التى فعلها مـضارع أنهمـا طلـب، ومضمون الجملة الفعلية أمر حادث متجدد فيتعلق الطلب به، بخلاف الاسمية فإنها للثبوت وعدم الحدوث. (٨)

والفـرق بـين العرض والتحضيض يكمن في درجة الحث ، فالعرض حـث برفق ولين، وفي التحضيض حث بإزعاج وتشديد ، كأنك في العرض تعـرض عليه الشئ لينظر فيه وفي التحضيض تقول له الأولى لك أن تفعل فلا يفوتنّك. (٩)

وأداة التحـضيض والعـرض قد تحتاج إلى جواب أولا تحتاج ، على حسب ما يقتضيه المقام ؛ فإن جاء بعدها جواب وجب أن يكون مضارعاً إما مقروناً بفاء السببية وإما خاليًا منها. (١٠)

وقد اختلف النحويون في كونها بسيطة أم مركبة ، فقد اختار المرادي أنها مركبة مؤيداً رأيه بكلام ابن مالك فقال: " قال ابن مالك ألا التي للعرض

---

(7) الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب من ٦٣٣ تحقيق موسى العليلى ط وزارة الأوقاف العراقية .

(8) يراجع لا واستعمالاتها في القرآن الكريم ص١٦٧ .

(9) يراجع الجنى الدانى للمرادى ص٣٨٤ .

(10) يراجع النحو الوافى لعباس حسن ج٤ ص٥١٤ ط دار المعارف الطبعة التاسعة

مـــركبة مـــن لا النافـــية والهمزة بخلاف التى للاستفتاح فإنها غير مركبة ، وذهب أبو حبان والمالقي إلى القول بأنها بسيطة .(١١)

ألا التى للتمنى : ذهب بعض النحاة إلى أن " ألا " تفيد التمنى ويكون الاســم بعــدها مبيــناً قال المالقى: " وأما ألا التى بعدها الاسم مبيناً ويرجع المعنى فيه إلى التمنى كقول حسّان.

ألا طِعانٌ ، ألا فُرسانُ عادِيَة إلّا تُجَشُّؤُكُم حَولَ التّنانير.

فهـــى لا التى للنفى والتبرئة دخلت عليها الهمزة فليست بسيطة وإنما هى مركبة في الأصل "(١٢)

ألا التـــى للاستفهام : ذهب بعض النجاة إلى أن " ألا " تفيد الاستفهام كمـــا تفيد غير ذلك من المعانى فقد عدّ الهروى كونها للاستفهام من مواضع ألا فقال :

" اعلـــم أن ألا لهـــا أربعـــة مواضـــع ١ــ تكون استفهاماً كقولك ألا تخرج، ألا تقوم ، وألا رجل في الدار، وقول حسان بن ثابت ــ ﷺ ــ :

حار بنَ كَعبٍ ألا الأحلامُ تَزجُرُكُم عَنّي وَأنتُم مِنَ الجوفِ الجَماخير(١٣)

وقـــد تكـــون الهمزة للاستفهام ولا بعدها نافية ويكون الاستفهام عن النفى كقول الشاعر: ألا اِصطِبارَ لِلَيلى أم لها جَلَدٌ إذا أُلاقي الّذي لاقاهُ أمثالي

(11) يراجع الجنى الدانى للمرادى ص٣٨٤ ورصف المبانى للمالقى ص٧٩ تحقيق أحمد محمد الخراط مجمع اللغة العربية بدمشق .

(12) رصف المبانى ص٧٩ والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص١٢٣ ط : دارصادر بيروت ١٩٦١م .

(13) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص١٢٢، والجوف : جمع أجوف وهو الذى لا رأى له ولا حزم وواحد الجماخير : جمخور : وهو الضعيف العقل : لسان العرب ١٤٨/٤ ط : دار صادر بيروت طبعة أولي .

وقد أنكر ابن الشلوبين دخول الاستفهام على النفى ورد عليه ابن هشام بالبيت السابق[١٤]، وقال أبو حيان:" والصحيح وجود ذلك في لغة العرب لكنه قليل "[١٥]

ألا التى للجواب : ذكر المالقى أن من مواضع " ألا " أن تكون جواباً وهو قليل حيث يقول القائل : ألم تقم ؟ ألم تخرج ؟ فتقول : ألا بمعنى بلى وهو شاذ [١٦]

والخلاصة : أن " ألا " تعددت معانيها ومواضعها عند النحويين ، كما أنهم اختلفوا في كونها بسيطة أم مركبة . لكن هذا الخلاف لا يؤثر على ما تفيده من معان،لأنه كما يقول الدكتور عباس حسن :" إنه لا يعنينا البحث في أصلها وتاريخها القديم ــ يقصد خلافهم في التركيب من الهمزة ولا ــ وإنما يعنينا أمرها الآن وما انتهت إليه بعد أن توحد جزءاها وصارت كلمة واحدة تؤدى معنى جديداً وتختص بأحكام جديدة لم تكن لها من قبل ، ولو زال عنها هذا التوحيد لتغيرت معانيها وأحكامها ."[١٧]

---

(14) كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي ص١٦٣ تحقيق عبد المعين الملوحى ط : مجمع اللغة العربية بدمشق والبيت لقيس بن الملوح ديوانه ص١٧٨ ت: عبدالستار أحمد فراج ط : دارمصر للطباعة .

(15) ارتشاف الضرب من لسان العرب ج٢ ص١٧٦ ط : مطبعة الخانجى القاهرة ت : د/رجب عثمان محمد .

(16) يراجع رصف المبانى ص٧٩ .

(17) النحو الوافى لعباس حسن ج٤ ص٥١٢ .

الفصل الثاني

ألا عند البلاغيين

لـــم تحـــظ " ألا " عند البلاغيين بدراسة نظرية كبيرة ، فلم يرد الكلام عـــنها إلا فـــي موضع واحد وكان غير مباشر، فقد كان الحديث عن حروف التحـــضيض والتنديم المتمثلة في هلا ولولا ، ثم ذكروا أن " ألا " منقلبة عن هلا حيث قلبت الهاء همزة فقد قالوا: "وكأن حروف التنديم والتحضيض هلا وألا بقلـــب الهـــاء همـــزة ولـــولا ولوما مأخوذة منهما مركبتين مع لا وما المـــزيدتين لتضمنهما معني التمني ليتولد منه في الماضي التنديم نحو هلا أكرمت زيداً وفي المضارع التحضيض نحو هلا تقوم"[١٨] .

ولـــم يذكروا المعاني الأخري التي تفيدها هذه الحروف ، وكأن ذكرهم لمعنـــي التحـــضيض ومعني التنديم إنما هو علي سبيل المثال ، لأن المعاني التـــي تفيدها هذه الحروف إنما هي من مستتبعات التراكيب ، تفهم من خلال السياق وبمعاونة القرائن وأحوال المخاطبين، ولذلك لم يستطع العلماء حصر المعانـــي التـــي تفيدها هذه الحروف وغيرها من أساليب الإنشاء المختلفة ، لأن الذي يحدد المعني هو السياق وحال المخاطب ، وعلي ذلك فالمعاني التي أفادتهـــا " ألا " في هذه الدراسة ليست كل معانيها بل هي بعضها مما تناسب مـــع الأحـــوال والقـــرائن ، بل إن بعض المعاني التي أشار إليها النحويون كإفادتهـــا لمعني الاستفهام أو لمعني التمني لم أجد لها نماذج خلال أحاديث صـــحيح مـــسلم التـــي هي محل الدراسة ، وهذا يؤكد أن معاني هذه الأداة وغيرها من مستتبعات التراكيب التي ترتبط بالسياق والمقام وحال المخاطب.

---

(18) مختصر العلامة سعد الدين على تلخيص المفتاح ج٢ ص٢٤٢ ط: دار الكتب العلمية بيروت.

المبحث الأول

ألا واستعمالها لإفادة معنى التنبيه والاستفتاح في البيان النبوي

التنبيه كما علمنا في الدراسة النحوية معنى يهدف إليه المتكلم عندما يكون الأمر الذى يريد إيصاله إلى المخاطب مهماً ، يحاول عن طريق استخدام أداته إيقاظ المخاطب، ورفع درجة الاستعداد عنده للتلقى ، حتى إذا ألقى الكلام بعد أداة التنبيه تقرر المعنى وتأكد مضمون الكلام في ذهن المخاطب .

ولأن النبي ﷺ أحرص ما يكون على نجاة أمته ، يحثها علي أي عمل يقربها إلى الخير، ويحذرها من أي شائبة تقربها من الشر كان يستخدم في بعض الأحيان أداة التنبيه " ألا " زيادة في الإيقاظ ورفع درجة النشاط عند المخاطب ، في إشارة إلى أن الأمر الذي سيتكلم فيه أمر خطير يستدعى درجة عالية من النشاط الذهني والتيقظ القلبي ، وأحيانًا أخرى يذكر هذه الأداة تأكيداً على حضور المخاطب معه وعدم شروده ، فهو يحاول أن يجدد عند المخاطب التنبه والاستيقاظ ، لأن أمور الشريعة وبيانٌ الحلال والحرام يحتاج إلى حضور ويقظة وهِمَّة عالية ، وسوف نعرض بإذن الله تعالى بعض الأمثلة من كلامه ﷺ الذي استخدم فيه " ألا " كأداة للتنبيه ، للدلالة علي أن ما بعدها أمر خطير يستحق أن يطرق عنده على سمع المخاطب ليزداد تيقظا وهمة، وليتأكد الكلام في نفسه ويثبت على طريق التحقيق وإليك التفصيل:

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ) : « إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الْحَرَامِ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ

صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ»[١٩]

علمنا أن التنبيه يأتي عند الأمور العظيمة الخطيرة التي تستدعى أعلى درجات التيقظ ولذا جاءت ألا في هذا الحديث مكررة أربع مرات ، لأن ما ذكرت معه أمور خطيرة قد يستهين بها بعض الناس ، فأراد ﷺ أن يؤكد على خطورتها ويقف بالمخاطب عندها ليرتفع شأنها في نفسه وتزول أي استهانة ولو كانت مفترضة ، وقد أجْمَعَ العلماء على عِظم وقع هذا الحَدِيث، وكثرة فوائده ، وأنَّه أحَدُ الأحاديث الَّتِي عليها مَدارُ الإسلام ، قالَ جَماعة : هوَ ثلث الإسْلام ، وَأنَّ الإسْلام يَدُور عَلَيْهِ ، وعلى حديث : "الأعْمَال بالنِّيَّة "، وحديث : " مِنْ حُسْن إسْلام الْمَرْء تَرْكه مَا لا يَعْنِيه ".. وَسبب عَظم مَوْقِعه أنَّهُ ﷺ نَبَّهَ فِيهِ عَلَى إصْلاح الْمَطْعَم وَالْمَشْرَب وَالْمَلْبَس وَغَيْرهَا ، وَأنَّهُ يَنْبَغِي تَرْك الْمُشْتَبِهَات ، فَإِنَّهُ سَبَب لِحِمَايَةِ دِينه وَعِرْضه ، وَحَذَرًا مِنْ مُواقعة الشُّبهَات ، وَأوضَح ذَلِكَ بِضَرْبِ الْمَثَل بِالْحُمَّى ، ثُمَّ بَيَّنَ أهَمَّ الأمُور ، وَهُوَ مُرَاعَاة الْقَلْب .. فَبَيَّنَ ﷺ أنَّ بِصَلاح الْقَلْب يَصْلُح بَاقِي الْجَسَد ، وَبِفَسَادِهِ يَفْسُد بَاقِيه (٢٠).

ولعلك تلحظ أن استخدامه ﷺ لأداة التنبيه في هذا الحديث كان عند الحديث عن الشبهات وعند الحديث عن القلب الذي تختلط فيه الشبهات على المرء .

ففي كلامه عن الحلال والحرام ألقى ﷺ الكلامَ خالياً من أداة التنبيه ، لأن الأمر ظاهر ظهور الشمس لا التباس فيه ، فمن خالف الأمر فيه خالف عن عمد ، لكن لما كان الحديث عن الشبهات ــ والشبهات هي الأمور المختلطة بين الحلال والحرام ــ احتاج الأمر إلى وقفة ؛ لأن كثيراً من الناس يستهين بالشبهة ، وربما قال إنها لم تصل إلى حد الحرام، فأراد ﷺ أن ينبه على أن الشبهة تفتح باب الحرام ومن قارب الباب أوشك أن يلجه ،

---

(19) رواه مسلم ج٦ ص٣١ ك : المساقاة ، ب أخْذِ الحَلالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ رقم ١٥٩٩ .

(20) شرح النووى على صحيح مسلم ج٦ ص٣٢ ط : دار الحديث تحقيق عصام الصبابطى وآخرين .

وحتى يتأكد عند المخاطب خطورة ولوج الشبهات ضرب النبي ﷺ مثلاً لذلك فقال : " ألاَ وَإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى" واستهل النبي ﷺ هذا المثل بـ" ألا " التنبيهية ليقول للمخاطب قف عند هذا المثل وتدبر معناه لتعى خطورة الأمر، إن الذي يرعى غنمه بجانب حمى إنسان لا يأمن أن ترتع داخل هذا الحمى . " كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ " وتزداد الخطورة عندما يكون هذا الحمى لِمَلِكٍ وليس لإنسان عادى ، وللتنبيه على هذه الخطورة جاءت " ألا " لتصرخ في وجه هذا الدائر حول الشبهات " ألاَ وَإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ألاَ وَإنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ " فإذا كان العاقل ينبغي عليه ألا يدور حول حمى الملوك ، فأولى به ألا يدور حول الشبهات التي توقعه في حمى ملك الملوك ، وهى محارمه التي حرمها على عباده ، ولم تنفرد " ألا " بحفز الانتباه وتذكير المخاطب بخطورة الأمر وحدها ، بل آزرها التأكيد بإنَّ المؤكدة ، ثم واو الاستئناف التي توحي بأنه كلام مستقل وكأنه منقطع عما قبله ليأخذ درجة أكبرمن الاهتمام والحذر ثم تقدم المسند " لِكُلِّ مَلِكٍ " لتربية المهابة بذكر المضاف إليه ثم تفخيم المسند إليه بتنكيره " حِمًى " ثم الانتقال من الممثل له ــ وهو المقصود ــ وهو" حمى الله" المخبر عنه بمحارمه مكرر معها نفس الأداة الدالة على إثارة التنبيه ومعها أداة التوكيد وواو الاستئناف .

" ألاَ وَإنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ " كما أن إضافة الحمى إلى لفظ الجلالة يشعر بهيبته وارتفاع جلاله فوق ما يحمى الملوك ، لأن جلالهم نقطة من جلاله ، وسلطان قدرتهم منحة منه سبحانه { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء } سورة آل عمران :٢٦ وإضافة المحارم إلى الضمير العائد عليه تعالى حارس للنفس يحذرها ويصونها بعد وسائل الإيقاظ والتوكيد السابق[٢١] .

(21) يراجع تحفةالأحوذي لشرح جامع الترمذى للمباركفورى ج٤ ص٣٣٢ ط : دار إحياء التراث العربي بيروت ط : ألى ١٩٩٨م ويراجع الحديث النبوى من الوجهة البلاغية د:عز الدين على السيد ص١١٣ .

ولمـــا كـــان القلب هو الوعاء الذي تختلط فيه الشبهات ، وتتردد فيه الأمـــور بين الحلال والحرام فترتع الجوارح حول الحمى تبعاً لهواه ، أكد ﷺ على ضرورة إصلاحه صوناً للجسد والجوارح ، فكرر نفس أداة التنبيه وما معها من الاستئناف والتوكيد ــ مع قرب العهد بهما ــ تثبيتاً للمخاطب على نفـــس الدرجة من الانتباه والتيقظ ؛ لأن الحديث عن القلب حديث عن العلاج والمخـــرج مـــن بوتقة الشبهات فقال:" أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ " وكأنه ﷺ يجيب علـــى تـــساؤل ربمـــا يجـــيش فـــي نفس المخاطب بعد كلامه عن حمى الله ومحارمه فيقول : فما الشئ الذى بحمينى من الوقوع في محارم الله ؟ فتأتى هـــذه الجملـــة لتجيب على هذا التساؤل ؛ وكأنه استئناف بيانى، بأن المعول علـــيه فـــي هـــذا الأمر هو القلب. وعلى الرغم من صغره ــ فهو في حجم المـــضغة ــ إذا صلح كان كالحارس الأمين الذي يحفظ الجوارح ويصلح به الجـــسد ، وإذا فـــسد كـــان كالمـــؤتمن الخائن الذي يضيع من يعول فيُفسد الجوارح ويُهلك الجسد .

فتراه ﷺ يصوغ الحديث عن القلب في هذا الأسلوب الملفت يتكرر فيه "ألا وإنَّ " مرتين في ضرب من التشويق بإيراده مرة مبهماً ثم بعد ذلك مرة موضـــحاً فـــي صـــورة رائعة من صور الإطناب ، وهى صورة الإيضاح بعد الإبهـــام ، والـــسر في ذلك كما قال البلاغيون: " ليُرى المعنى في صورتين مختلفتـــين ليـــتمكن في النفس فضلَ تمكن ، فإن المعنى إذا أُلقى على سبيل الإجمـــال والإبهـــام تـــشوفت نفس السامع إلى معرفته على سبيل الإيضاح والتفـــضيل .. فـــإذا أُلقـــى كـــذلك تمكن فيه فضل تمكن" (٢٢) فقد تآزر هذا الأســـلوب مـــع ألا وإنَّ ليؤكد على السامع ويبالغ في تأكيد التيقظ والاهتمام بالأمـــر، إذ أن الإطناب بجميع صوره ضرب من ضروب التأكيد يؤتى به في الكلام قصداً للمبالغة (٢٣)

(22) الإيضاح للخطيب ص٨ تحقيق د عبد القادر حسين مطبعة الآدب مصر.
(23) يراجع : المثل السائر لابن الأثير ج ص١١٩ ط : المكتبة العصرية ــ بيروت تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

وقد ساعد في مضاعفة الانتباه والتيقظ تقديم الظرف " في الجسد " على " مضغة " التي جاءت في ثوب التنكير تعظيماً لأمرها واهتماماً بشأنها؛ فهذه المضغة على ما لها من تأثير كبير في الجسد كله ليست منفصلة ولا بعيدة عنه بل هى جزء منه ، فإذا ما وصل المخاطب إلى الحد المطلوب من الإثارة والتشوق لمعرفة هذه المضغة التى بها التأثير الفعال في الجسد كله الذى عبر عنه بلفظ الشمول" صَلَحَ الجَسدُ كُلُّه ، فَسَدَ الجَسدُ كُلُّه " جاء الإيضاح بعد ذلك ليمكن المعنى في ذهن المخاطب مصدراً بأداة التنبيه وليستقر دون شرود أو غفلة" ألا وَهى القلبُ ".

أيضاً مما يلفت الانتباه ويشحذ الذهن للتيقظ تكرار أداة التنبيه أكثر من مرة حتى وصلت إلى أربع وما ذاك إلا لخطورة الأمر، فهو ﷺ يتكلم عن الشبهات ــ وهى أمر يلتبس على كثير من الناس ــ ويتكلم عن محل هذه الشبهات وهو القلب ، فناسب ذلك أن يكرر ﷺ هذه الأداة ليتكرر التنبيه ويزداد التيقظ بتكريرها ... إشارة إلى أهمية وخطورة الكلام ، على عادة العرب في استخدامهم للتكرار في مواطنه وكما تقتضيه مقاماته ، فهو وسيلة بيانية ناجحة يحتاج إليها ويحسن استعمالها في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها "[٢٤]

أيضاً من الأحاديث التى جاءت فيها ألا لمعنى التنبيه قوله ﷺ في الحديث الذى رواه ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « ألاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالأَمِيرُ الَّذِى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى

(24) يراجع : رسالة البيان ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز تحقيق خلف الله وسلام ص٥٢ ط : دار المعارف ويراجع : التكرار بلاغة د / إبراهيم الخولى ص٣٦ ط: الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٩٣م .

بَـيْتِ بَعْلِهَـا وَوَلَـدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »(٢٥)

ففـي هذا الحديث يتكلم النبي ﷺ عن تحمل المسئولية والقيام بشئون الآخـرين ، وهـو أمر قد يظنه بعض الناس هيناً، أو يظن البعض أن أمانة المـسئولية تقع على ولى الأمر فقط؛ لذا صدر النبي ﷺ كلامه بلفظ الشمول "كُلُّكُمْ" المكونة من كل و ضمير الجمع لتقع الحجة على الجميع ، ومبالغة في تأكيد أمانة المسئولية على الجميع استفتح الكلام بأداة الاستفتاح والتنبيه " ألا " لتقرر مضمون الجملة بعدها وتؤكد عليه ، وهنا أضيف معنى الاستفتاح إلى معنى التنبيه ، لأن " ألا " هنا وقعت في أول الكلام فاستفتح بها الكلام ، وقـد أشرت إلى هذا المعنى في الدراسة النحوية ، وقد طرق أسماع قلوبهم بهـذه الأداة المنـبهة لأن مـا يأتى بعدها كلام يحتاج إلى تأمل ويحتاج إلى إدراك وفهم؛ لذا وجب أن يكون السامعون في أعلى درجات الانتباه والتيقظ، فأمـر تحمل المسئولية أصبح يلزم كل مكلف في هذا الأمر والأمانة أصبحت منوطة بآحاد الأمة جميعهم .

ولأن الأمـر خطيـر ومهم استخدم ﷺ أسلوبًا أخر من أساليب الإثارة وتحريك الهمم ، وهو أسلوب التفصيل بعد الإجمال أو الإيضاح بعد الإبهام ، فـبعدما أجمـل فشمل الأمة كلها بأنها راعية ومسئولة عن رعيتها أخذ في تفصيل ذلك حتى يتضح الأمر أكثر وأكثر ويتمكن في النفس فضل تمكن فأخذ يعـدد " فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَـى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عن رعيته وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَهِيَ مَـسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ " فأخذ يتدرّج بالأمانـه وتحمـل المـسئولية من الأعلى حتى وصل إلى أقل الناس تحملاً للمَـسئوليات في نظر الناس ومع ذلك هو مسئول عن هذه الأمانة وهو العبد عند سيده .

(25) صحيح مسلم بشرح النووى ك : الإمارة ، ب فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ ج٦ ص ٤٥٢ رقم١٨٢٩.

فهذا التفصيل بعد الإجمال أو الإيضاح بعد الإبهام تأكيد يضاف إلى ما سبقه من استفاح وتنبيه يساعد في تقرير المعنى وتحقيقه وتثبيته وبيان أهميته وخطورته ، وقد أشار علماء البلاغة إلى علة استخدامه ونكتة البلاغة فيه فقالوا: " والإيضاح بعد الإبهام يكون ليرى المعنى في صورتين وليتمكن المعنى الموضح بعد إبهامه في نفس السامع فضل تمكن ، وذلك عند اقتضاء المقام ذلك التمكن ، لكون المعنى ينبغى أن يملأ به القلب لرغبة أو لرهبة ، أو ليحفظ ، أو لتعظيم وعدم استهزاء أو عمل به أو نحو ذلك ، وإنما كان في الإيضاح بعد الإبهام فضل التمكن ؛ لأن الإشعار به إجمالاً يقتضى التشوق له والشئ إذا جاء بعد التشوق له يقع في النفس فضل وقوع ويتمكن أى تمكن "[٢٦] ومعنى تحمل المسئولية ورعاية أحوال الناس أمر خطير وأمانة عظيمة تحتاج إلى هذا التنبيه وإلى هذا التقرير والتمكين .

ولأن الذى يتحمل مسئولية غيره ينبغى عليه أن يكون رفيقًا به شفيقاً عليه تراه ﷺ يؤثر التعبير بالراعى دون غيره من الألفاظ لما في الراعى من صفات الشفقة والرحمة ما ليس في غيره ، إذ أنه يرتاد لغنمه أفضل المرعى . فالكلام في الحديث الشريف قائم على التشبيه ، فالمعنى كلكم مثل الراعى وكلكم مسئول عن رعيته ، ووجه الشبه حفظ الشئ وحسن التعهد له[٢٧] ولذا يقول العلامة الطيبى فيما نقله ابن حجر عنه " وهو تمثيل ليس في الباب ألطف ولا أجمع ولا أبلغ منه " [٢٨] .

وأيضاً مما يؤكد أهمية أمر تحمل المسئولية التى نبه لها النبي ﷺ بألا في أول الكلام أنه ﷺ أعاد وكرر العبارة " مع كل تفصيل فقال " فَالأَمِيرُ الَّذِى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ .."، " وَالرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ رَاعٍ... "،" وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ...."، " وَالْعَبْدُ رَاعٍ .. " وقد كان من الممكن أن يستغني عن ذكر وتكرير هذه العبارات بواو العطف فيأخذ المعطوف حكم المعطوف عليه ، لكنه ﷺ أراد أن

---

(26) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ج٣ س٢١٠ ضمن شروح التلخيص ويراجع باقى الشروح في هذا المعنى ط : دار الكتب العلمية بيروت .

(27) يراجع فيض القدير للمناوي ج٥ ص٣٨ ط : المكتبة التجارية الكبرى بمصر طبعة أولى ١٣٥٦هـ .

(28) فتح البارى ج١٣ ص١١٢ ط : دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ .

يتجدد أمر هذه الأمانة ويستقر في ذهن المخاطب أنه مسئول عنها مع كل تفصيل ، فتظل العبارة محط اهتمامه ونصب عينيه ، وهذا التكرير وسيلة بيانية لطالما استخدمها العرب في الأمور المهمة التى يخاف عليها النسيان أو الاستهانة بقدرها ، ولذا يقول الخطابى " وإنما يحتاج إليه – أى التكرير – ويحسن استعماله في الأمور المهمة التى قد تعظم العناية بها ، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها، والاستهانة بقدرها[٢٩]

ثم يبالغ ﷺ في بيان خطورة هذا الأمر وذلك عن طريق إعادة أداة التنبيه مرة أخرى وإعادة العبارة المجملة « أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » في نهاية الحديث ليلخص الكلام ويعيد الأهمية والتقرير إلى الأذهان مجملة مرة أخرى بعد التفصيل رداً للعجز على الصدر[٣٠] تثبيتاً وتقريراً للمعنى.

يقول الطيبى " وحسبت أنه ﷺ قد قال والرجل راع في مال أبيه إلى آخره ثم في هذا الموضع من النكتة أنه عمم أولاً ثم خصص وقسم الخصوصية إلى أقسام من جهة الرجل ، ومن جهة المرأة ، ومن جهة الخادم،ومن جهة النسب ،ثم عمم ثانيًا وهو قوله ألا وكلكم راع إلى آخره تأكيدًا ورداً للعجز إلى الصدر بيانًا لعموم الحكم أولاً وآخرًا "[٣١]

وبهذا تتآزر كل هذه الأطياف البلاغية الرقراقة إلى جانب أداة التنبيه والاستفتاح ، التى استفتح بها على المخاطب لينبه إلى أهمية وخطورة الكلام الذى سيأتى بعدها ، تقريراً لهذا المعنى وتأكيداً على أهميته وإلزاماً للمخاطب أن يعمل به ، وبهذا يتأكد أن " ألا " حين تأتى للتنبه إنما تسبق

---

(29) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل للإعجاز تحقيق خلف الله وسلام ص٥٢ ط : دار المعارف .

(30) رد العجز على الصدر لون بديعى معروف عند العرب وهو عبارة عن:" كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالباً أو معنوية نادراً تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمى كل كلام" بديع القرآن لابن أبى الإصبع ص٣٦ مطبعة نهضة مصر ت حفنى محمد شرف .

(31) نقله العينى في عمدة القارى شرح صحيح البخاري ج٦ ص١٩١ ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

الكـــلام المهم والأمر الجلل الذى يحتاج من المخاطب إلى تنبه ذهب وحضور قلب وتيقظ فكر، ليتمكن المعنى من نفسه فضل تمكن .

أيـــضاً من الأحاديث التى جاءت فيها " ألا " للإيقاظ والتنبيه لتقرير ما بعدها وتأكيده والإشارة إلى أهميته وخطورته قوله ﷺ في الحديث الذى رواه زيد بن أرقم قالَ:

" قـــامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا ثُمَّ قالَ « أَمَّا بَعْدُ أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَـــا أَنَـــا بَـــشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّى فَأُجِيبَ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَـــا كِـــتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ». فَحَـــثَّ عَلَـــى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قالَ « وَأَهْلُ بَيْتِى أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى » [٣٢]

في هذا الحديث ينبه النبي ﷺ على أصلين عظيمين عليهما قيام الدين، وهمـــا كـــتاب الله عز وجل وأهل بيته ﷺ وقد سماهما ثقلين لعظمهما وكبير شـــأنهما ، أو لثقل العمل بهما [٣٣] ، ثم رغب النبي ﷺ في العمل بكتاب الله وحـــث علـــيه ، ثـــم أوصى بآل بيته ، وكرر تلك الوصية ثلاث مرات تأكيداً عليها ، وتنبيها على خطرها ، وبياناً لعظيم حقهم وفضلهم على الأمة .

ولمـــا كـــان هـــذان الأمران عظيمين جليلين اقتضى المقام أن يكون المخاطب في أشدّ حالات الانتباه والتيقظ وفي أعلى درجات الاستعداد ، حتى لا يفوته شئ ولو بسيط من هذه الوصية الغالية ؛ لذا إستخدم النبي ﷺ أكثر مـــن أســـلوب لحشد هذا الاستعداد ، فافتتح على المخاطب بأداة " ألا " التى تفيد التنبيه مضافاً إليه معنى الاستفتاح ، لأنها استفتح بها الكلام ، ثم أردف بعـــد ذلـــك بالنداء الذى هو " توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للإصغاء وســـماع ما يريد المتكلم "[٣٤] فقال : " ألا أيها " وقد حذفت أداة النداء " يا " ـــ جوازاً ـــ لأن المنادى معرفة اختصاراً وسرعة في الوصول إلى المطلوب.

---

(32) صحيح مسلم ج٨ ص١٩٠ ك : فضائل الصحابة ، باب مِنْ فَضَائِلِ عَلِيٍّ ، رقم الحديث ٢٤٠٨ .

(33) يراجع شرح النووى على صحيح مسلم ج٨ ص١٩٥ .

(34) النحو الوافى لعباس حسن ج٤ ص١.

ثم زاد على المنادى " أى" " ها " وهى أيضاً للتنبيه ودخولها على" أى" واجب؛ لأن حق " أى " أن تصاف[٣٥]

وقد تآزر النداء مع " ألا " التنبيهية والغرض من ورائهما تقوية المعنى الذى يأتى بعدهما وتوكيده إذ أن من مقاصد وأغراض النداء تقوية المعنى وتوكيده إذا كان المخاطب مصغ إلى المتكلم مقبلاً على حديثه[٣٦] ، وقد اتضح هنا أن مقصود النبي ﷺ من وراء التنبيه " بألا " وبالنداء تقوية المعنى وتوكيده؛ إذ أن المخاطبين كانوا يستمعون إلى حديثه ﷺ ويصغون إليه.

وبعد أن هيأ النبي ﷺ المخاطبين للاستماع وأيقظ عقولهم ، وفتح آذن قلوبهم ألقى إليهم الوصية مستهلة بهذا التلميح بدنو أجل النبي ﷺ فقال: " فَإِنَّمَا أنا بَشَرٌ يُوشِكُ أنْ يَأتِيَ رَسُولُ رَبِّى فَأجِيبَ".

ولأن إخباره ﷺ بأنه سيموت تستعظمه نقوس الصحابة وربما لا يصدقه البعض، أراد ﷺ أن يهون عليهم الأمر فأخبر أنه بشر، ومن طبيعة البشر الموت ، ثم أكد لهم ذلك بطريق القصر بإنما قصراً إدعائياً ، فنزل المخاطبين منزلة من يعتقد أن النبي ﷺ يجمع بين البشرية والخلود فأفرد لهم أمر البشرية بطريق القصر، قصر إفراد ليؤكد على حقيقة البشرية التى من طبيعتها الموت ثم يقرب لهم الأمر أكثر فيقول: " يوشك " فيستخدم الفعل أوشك الذى يدل على المقاربة ليصور قرب أجله ﷺ .

وفي قوله:" أنْ يَأتِيَ رَسُولُ رَبِّى فَأجِيبَ " إشارة إلى أن ملك الموت إنما ينفذ أمر ربه ولا يملك أن يتأخر في ذلك ، وفي قوله فأجيب " إشارة إلى مكانة النبي ﷺ عند الله تعالي، فكأن الله عز وجل أرسل ملك الموت ليستأذن النبي ﷺ في أمر الموت ويخيره ، بل إنه ﷺ قد صرح بأن الله خيره

(35) يراجع اللباب في علل البناءوالإعراب ٣٣٧/١ ط : دار الفكر ــ دمشق تحقيق غازى مختار طليمات .

(36) يراجع النحو الوافى في ج٤ ص١ هامش ٢ .

فـــي هذا الأمر فقال: « إنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ »(٣٧)

وفـــي هذه العبارة التي قالها ﷺ تمهيد للوصية " فإنما يوشك أن يأتى رســول ربـــى فأجـــيب " استهلال بديع وتمهيد رائع ، وهذا اللون البديعى يسميه علماء البلاغة براعة الاستهلال حيث قالوا: " إن أحسن الابتداءات ما ناسب المقصود "(٣٨)

فاســـتهل ﷺ وصـــيته بكـــتاب الله وآل بيـــته بهذه الجملة حتى يتلقى الـــصحابة الوصـــية باهتمام، فكأنها وصية مودع، ووصية المودع تستدعى الاهتمام والتركيز والحفظ لما فيها .

كـــل هـــذا يوضـــح لـــنا ويؤكد أهمية مجئ التنبيه والاستفتاح على المخاطـــب فـــي بداية الكلام، فبان لنا أن " ألا " هنا جاءت في مكانها الذى تستدعيه إذ ما سيجىء بعدها في غاية الأهمية يستحق التنبيه والإيقاظ لينتج عنه التقرير والتوكيد .

والـــنماذج مـــن حديثه ﷺ التي اشتملت على " ألا " التنبيهية كثيرة لا يتـــسع المجـــال لذكـــرها جمعـــاً مفصلة مشروحة ، فكل ما قيل في النماذج الـــسابقة مـــن تفـــصيل يمكـــن أن يقال فيها ، لكن نذكر منها على سبيل الإجمال .

١ ــ قوله ﷺ في تحريم الربا « ألا إنما الرِّبَا فِى النَّسِيئَةِ »(٣٩)

٢ــ قوله ﷺ فى فضل " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " « ألا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » (٤٠)

---

(37) صحيح البخارى ج٣ ص١٤١٧ ك : أصْحَاب، ب: هِجْرَةُ النَّبِىِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ رقم ٣٦٩١ دار ابن كثير بيروت تحقيق مصطفى ديب البغا وآخرين

(38) الإيضاح للخطيب ص٤٨٥ تحقيق وعبد القادر حسين.

(39) صحيح مسلم ج٦ ص٢٨ ك المساقاة ب بيع الطعام مثلا بمثل.

(40) صحيح مسلم ج١ ص٥٥ ك: صلاة المسافرين ، ب فَضْلِ قِرَاءَةِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) .

٣ـــ قــوله ﷺ فــي فــضل المدينة المنورة « ألاَ إنَّ المَدِينَةَ كَالكِيرِ تُخرِجُ الخَبِيثَ»(٤١)

٤ ــ قــوله ﷺ في بيان صفة المسيح الدجال « ألاَ إنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى »(٤٢)

٥ ــ قــوله ﷺ في تأكيد النهى عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد « ألاَ وَإنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ »(٤٣)

٦ـــ قــوله ﷺ في تأكيد شرط الإسلام لدخول الجنة « ألاَ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ »(٤٤)

٧ـــ قــوله ﷺ فــي تأكــيد النهــى على المبيت عند الثيب « ألاَ لاَ يَبِيتَنَّ رَجُــــــلٌ عِنْدَ امْرَاةٍ ثَيِّبٍ إلاَّ أنْ يَكُونَ نَاكِحًا أوْ ذَا مَحْرَمٍ »(٤٥)

ومن خلال هذه النماذج المشروحة والمجملة نستخلص عدة أمور:

<u>أولاً</u> : أن " ألا " التنبيهــية تــدخل على الأمور المهمة غاية الأهمية والأمور التــى تحتاج إلى شدة في التيقظ ودرجة عالية في التركيز، حتى يتقرر الأمر في نفوس المخاطبين ويتأكد .

<u>ثانياً</u> : أن معظم هذه الأحاديث التى دخلت عليها " ألا " جاء ت أحياناً مؤكدة بمــؤكد واحد وأحياناً بأكثر حسب أهمية الخبر وخطورته ، وهذا يعطى دلالة واضــحة على أهمية وجود التنبيه وأداته في أول الكلام لتكون حافزًا علي التيقظ والاهتمام .

---

(41) صحيح مسلم ج٢ ص١٦٥ ، ك الحج ، ب المَدِينَةِ تَنْفِى شِرَارَهَا.

(42) صحيح مسلم ج١ ص٥٠٨ ك : الإيمان ، ب : ذِكْرِ المَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَالمَسِيحِ الدَّجَّالِ .

(43) صحيح مسلم ج ٣ ص١٤ ك : المساجد ، ب : النَّهْى عَنْ بِنَاءِ المَسَاجِدِ عَلَى القُبُورِ .

(44) صحيح مسلم ج٢ ص٩٨ ك : الإيمان ، ب : بَابُ كَوْنِ هَذِهِ الأُمَّةِ نِصْفَ أهْلِ الجَنَّةِ .

(45) صحيح مسلم ج٧ ص٤٠٧ ، ك : السلام ، ب: تَحْرِيمِ الخَلْوَةِ بِالأَجْنَبِيَّةِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهَا .

ثالثا : أن " ألا " التنبيهية ليس شرطاً فيها أن تأتى في أول الكلام ، فهى في الغالب تأتي في أول الكلام فيضاف إلى معنى التنبيه فيها معنى الاستفتاح ، وأحياناً تأتى في وسط الكلام تنبيهاً على أهمية الجملة التى تلحقها، وأحياناً يصدر بها الكلام ويختم لينبه على خطورة الكلام كله كما في حديث « أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »

رابعا : أن " ألا " التنبيهية في الغالب تدخل على الجمل الاسمية وبخاصة المؤكدة منها ، وأحياناً تدخل على الجمل الفعلية المنفية للتنبيه على تأكيد النهى فيها كما هو الحال في النموذج رقم ٦ ، ٧ وهما قوله ﷺ « أَلاَ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ » وقوله ﷺ «أَلاَ لاَ يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ ثَيِّبٍ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا مَحْرَمٍ »

إذن يتضح لنا ، بل يتأكد أهمية وجود أداة التنبيه والاستفتاح " ألا " في بداية الكلام ، وذلك لتكون بمثابة الطرق على الأسماع حتى يأخذ المخاطب أهبته واستعداده لتلقى الخبر التالى لها ، فإذا ما ألقى إليه وهو في أشد درجات انتباهه وأعلى حالات اليقظة ــ وبخاصة إذا كان الخبر مؤكداً بأكثر مؤكد ــ تقرر المعنى في ذهنه وتأكد عنده أبلغ تأكيد ، وكان دور " ألا " هنا أن مهدت للمعنى وهيأت له الأسماع والقلوب .

المبحث الثاني

استعمالها لإفادة معنى الحث والتحضيض

تحدث النحويون والبلاغيون عن إفادة " ألا " للحث والتحضيض ، كما سبق في الدراسة النحوية ، وتحدث البلاغيون عن هذا المعنى فقالوا : إن أصل ألا " هلا " المركبة من هل ولا الزائدة لإفادة معنى التمنى ثم يتولد من التمنى معنى التحضيض ثم قلبت الهاء همزة ثم خففت بعد ذلك وهى بهذا تدخل على الجملة الفعلية التى فعلها مضارع ؛ لأن الحض هو طلب للفعل في المستقبل وحث عليه بشدة"(٤٦) .

فهى عند البلاغيين تتضمن معنى التمنى ليتوصل منه إلى التحضيض، وهى عند النحويين للتحضيض مباشرة دون ركوب معنى التمنى، وقد علق الشيخ عبدْ المتعال الصعيدى في كتابه البغية على اشتراط السكاكى لوجود معنى التمنى قبل الحض وقال هذا تكلف من السكاكى (٤٧) .

ولعل رأى السكاكى من ركوب معنى التمنى ليتوصل منه إلى التحضيض مبنى على علاقة القرب التى بين التمنى والتحضيض ، حيث إن التمنى رغبة في حصول شيء محبوب ، والحض هو حث على فعل الشئ بشدة فهو ينبئ عن رغبة شديدة ، فالتمنى يصور إحساس المتكلم بالرغبة في فعل الشئ ، والحض يجسد الطلب الحقيقى ، وبذلك يكون التمنى حالة نفسية سابقة على طلب الشئ بشدة ، وقد أشار إلى مثل هذا المعنى العلامة الدسوقى حيث قال: "ووجه التولد ــ أى تولد التحضيض عن التمنى ــ أن التمنى إنما يكون في الأمور المحبوبة ، فإذا فلت الأمر المحبوب للمخاطب ندم عليه، وإن كان مستقبلاً حضَّه عليه "(٤٨) .

فالعلاقة بين الرغبة في حصول الشئ المحبوب ــ التى هى التمنى ــ وبين طلب حصوله لشدة أمرظاهر ، ولا يتعلل بأن التمنى يتعلق بالمستحيل

---

(46) يراجع شروح التلخيص ج٢ ص٢٤٢ والإيضاح على هامش الشروح نفس الجزء والصفحة.

(47) يراجع بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدى ج٢ ٢٩ص ط مكتبة الآداب

(48) حاشية الدسوقى على شرح السعد ج٢ ص ٢٤٤ ضمن الشروح .

أو الأمـــر البعـــيد ، لأنه قد يتمنى الأمر القريب لشدة رغبة المتكلم فيه كأنه أمر بعيد ، فكما يقول أستاذنا الدكتور/ محمد أبو موسى :

" المهم أن المعانى التى نعدها من باب التمنى ذات طبيعة خاصة فهى مـــن المعانـــى التـــى تـــتعلق بهـــا القلوب وتشتاقها، سواء أكانت بعيدة أو مـــستحيلة، ثم إن البعد فيها ربما لا يكون بعداً بالنسبة للواقع أو العرف أو العقل ، وإنما هو بعد من حيث إحساس النفس به تقول : ليتنى أفعل كذا أو أقدر عليه أو ليتنى ألقى فلاناً .. وقد يكون ذلك كله غير بعيد في واقع الأمر أو عند غيرك، ولكن شدة رغبتك فيه أو همتك أنه مستبعد "(٤٩)

وعلـــى أيـــة حال فالذى يهمنا هنا هو وصول " ألا " إلى معنى الحث والتحـــضيض سواء أكان هذا التحضيض ناتجاً عن تمنٍ أو رغبةٍ شديدةٍ من المـــتكلم وحرصه على إيجاد الفعل ، أو أنها أفادت التحضيض بوضعها من أول الأمـــر ، وربما سياقات الكلام هى التى تشير إلى وجود تمنٍ سابق على الحث والتحضيض ، أو أن التحضيض هو وليد اللحظة التى قيل فيها الكلام.

وســـوف أعـــرض بإذن الله تعالى بعض النماذج من حديثه ﷺ التى بـــان فيها إفادة " ألا " لمعنى الحث والتحضيض فإليك التفصيل :

عَـــنْ أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ : وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ ، فَنَهَسَ نَهْسَةً فَقَالَ : « أَنَا سَـــيِّدُ الـــنَّاسِ يَـــوْمَ الْقِـــيَامَةِ ». ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى فَقَالَ « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِـــيَامَةِ». فَلَمَّـــا رَأَى أَصْحَابَهُ لاَ يَسْأَلُونَهُ قَالَ « <u>أَلاَ تَقُولُونَ كَيْفَهْ</u> » ؟ قَالُوا كَـــيْفَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » وَسَاقَ الْحَدِيثَ .. "(٥٠)

هـــذا الحـــديث روايـــة لحديث سابق عليه يتحدث عن مقامه ﷺ يوم القـــيامة وتفرده بأمر الشفاعة ولذلك قال الراوى في هذا الحديث " ثم ساق الحـــديث " إشـــارة إلـــى بقية الحديث عن الشفاعة التى وردت في الحديث السابق ، وفي هذه الرواية ألقى النبي ﷺ خبراً مهماً يستدعى المخاطب إلى

(49) دلالات التركيب د / محمد محمد أبو موسى ص١٩٥ ط : مكتبة وهبة ـــ الطبعة الثانية ١٩٨٧م .

(50) صحيح مسلم ج٢ ص٥٧ ك : الإيمان ، ب : باب أدنى أهل الجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا.

السؤال عن تفاصيل هذا الخبر ، وقد ألقاه ﷺ إليهم خالياً من أى توكيد ، لأنه المخاطب في هذه الساعة – وهم الصحابة – خالى الذهن من أى معلومة متعلقة بهذا الخبر، فاقتضت البلاغة أن يلقى الخبر دون توكيد ملاءمة مع حال المخاطب، بل إن خلو الخبر من أى توكيد يشير إلى لطيفة أخرى وهى ثقة المتكلم – وهو النبي ﷺ – في نفسه وأمنه من أن يعترض على كلامه أحد الجالسين أو يتردد واحد منهم في قبول هذا الخبر ، فقد كان حب الصحابة للنبي ﷺ لا يدع لهم مجالاً لأن يحار العقل أو يتردد أو يفكر مجرد تفكير في قبول الخبرأو الشك فيه ، ولعل هذا هو الذى دفع الصحابة رضوان الله عليهم إلى الصمت وعدم السؤال عن تفاصيل الخبر ، مع أنه من الأهمية بمكان ، أو لعله سبب آخر وهو أدبهم رضوان الله عليهم بين يدى النبي ﷺ وخوفهم أن يتكلم أحدهم بكلام لا يعجب النبي ﷺ .

ولما كان الخبر من الأهمية بمكان أعاده ﷺ مرة أخرى رجاء أن يسأل أحدهم ، والتكرار كما نعلم وسيلة بيانية يعمد إليها البليغ في تأكيد ما يريد قوله وتثبيته في نفوس السامعيين، حتى لا يتطرّق إليه شك أو نسيان ، فإعادته ﷺ لهذا الخبر الذى هو بمثابة ذروة الشرف ليس للنبي ﷺ وحده بل لأمته جميعاً للتأكيد عليه وتثبيته في نفوس السامعيين ، وحتى يثير الفضول في نفوسهم إلى السؤال عن كيفية هذه السيادة .

ولكن لما لم يسأل أحد الجالسين عن ذلك حثهم على السؤال وحضهم فقال: ألا تقولونَ كَيْفَ؟ فاستخدم " ألا " التى تظهر الحضَّ على السؤال وتخفى وراءها رغبته الشديدة ﷺ في إعلامهم تفاصيل الخبر ، وهذا مما يصدق رأى الإمام السكاكى في أن وراء الحض تمنٍ خفى دفع المتكلم إلى حض المخاطب وحثه على إيجاد الفعل ، فإن رغبة النبي ﷺ في تعريف أصحابه تفاصيل هذا الخبر والتى دفعته إلى حثهم وحضهم على السؤال يكمن وراءها حرص شديد على إخبار أمته بكل أمر ينفعهم في آخرتهم ، كما يكمن وراءها أيضاً حرص منه ﷺ على إدخال السرور عليهم وسوق البشرى إليهم .

لكن السؤال هنا : لماذا لم يخبرهم النبي ﷺ مباشرة دون اللجوء إلى حضهم على السؤال؟!

وللإجابة عليه نقول : إن المتكلم البليغ إذا أراد أن يخبر المخاطب بأمر مهم لم يلقه إليه غفلاً ساذجاً بل يحاول أولاً أن يثيره إلى معرفة الخبر ليلقى إليه الخبر وهو في أعلى درجات الانتباه والتيقظ ، فيقع الخبر من نفسه موقعاً حسناً .

والنبي ﷺ وهو أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء أراد أن يمهد للخبر، ويشوق إليه نفوس المخاطبين ، وينبه إليه الغافلين ، حتى إذا ألقى إليهم صادف نفوساً مهيأة وعقولاً متنبهة وقلوباً مستعدة فاستقر الخبر وتمكن أيما تمكن ، فاستخدم النبي ﷺ وسيلة الحث والحض على السؤال تشويقاً إلى الخبر وحتى يقع الخبر بعد سؤالهم عنه ، فيكون ذلك أبلغ في تأكيد الخبر وتقريره ؛ فإن من بلاغة المتكلم إذا أراد أن يؤكد على الخبر عند المخاطب ألجأه إلى السؤال فيكون المخاطب هو المستفهم الطالب للمعرفة ، فإذا ألقى إليه الخبر عقب سؤاله وقع الخبر من نفسه موقع الماء البارد على الظمأ فتمكن من نفسه فضل تمكن ، وكما يقول البلاغيون : " إن الخبر الحاصل بعد الطلب أعزُّ من المنساق بلا تعب "(٥١).

من هنا تعلم بلاغة النبي ﷺ وإبداعه في توصيل الخبر إلى المخاطبين بطريقة تضمن له أن يقع الخبر من نفوسهم جميعاً موقعاً حسناً ، ويضمن به أيضاً أن لا يتسرب الشرود أو النسيان إلى عقول بعضهم ، فقد حولهم بهذا الحث والتحضيض من مخاطبين يتلقون الأخبار بطريقة سلبية لا مشاركة لهم فيها إلى مخاطبين إيجابيين يشاركون في الحوار ، بل حول المخاطب من متلق خامل إلى سائل تنشوق نفسه إلى معرفة الإجابة ، وبهذا تكون أداة الحث والتحضيض " ألا " قد قامت بدورها على أكمل وجه فأثارت في نفوس المخاطبين الفضول وألحت عليهم في طلب التحديث متشوقين إلى معرفة التفاصيل ، لذلك كانت إجابتهم له ﷺ عندما قال : " ألا تقولون كيفه؟!

(51) حاشية الدسوقي على شرح السعد ج٣ ص٢١٠ .

فـي لهفة وشوق قالوا : كيفه يا رسول الله ؟ عند ذلك تأكد النبي ﷺ من أن العقـول جمـيعاً متيقظة ، والقلوب متفتحة ، والنفوس مهيأة للسماع فساق إليهم الحديث وتفاصيل الخبر .

أيـضاً مـن الـنماذج التـى جـاءت فـيها " ألا " لإفادة معنى الحث والتحـضيض حديث جَابِر بْن سَمُرَة قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَـا لِى أَرَاكُمْ رَافِعِى أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ ؟ اسْكُنُوا فِى الصَّلاَةِ » قَـالَ ثُـمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَأَنَا حِلَقًا فَقَالَ « مَا لِى أَرَاكُمْ عِزِينَ » ؟ قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْـنَا فَقَالَ « أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا » ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَكَـيْفَ تَـصُفُّ الْمَلاَئِكَـةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ قَالَ « يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُولَ ، وَيَتَرَاصُّونَ فِى الصَّفِّ »[٥٢]

هـذا الحديث يحكى أكثر من موقف ، فقد نهى النبي ﷺ في مرة عن الإشـارة بالـيد عند السلام وأمرهم بالسكون . ثم نهاهم في مرة أخرى عن التفـرق في المسجد . ثم خرج عليهم مرة أخرى وحث على إتمام الصفوف وإكمالها فقال: « أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ »[٥٣]

ففـى قوله " « أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ » ترغيب وتحبيب في الأفـضل والأكمـل مـن أوضاع الصلاة وهو عدم إحداث صف حتى ينتهى الصف الأول ، فإذا انتهى بدأ المصلون في إحداث الصف الثانى ، وهكذا في كـل الـصفوف " وقـد أمرهم النبي ﷺ بهذه الطريقة الترغيبية ولم يأمرهم مباشـرة بإكمـال الـصفوف بعداً بهم عن الأمر المباشر الذى ربما تستثقله الـنفس أو تكـره ، فهو ﷺ رحيم بأمته شفيق عليها يختار لها من أساليب الخطـاب والدعوة ما يقربها ويحببها في العبادة ويشجعها على المنافسه في الخيـر، فاسـتهل توجـيهه وتعليمه بـ" ألا " التى تحمل في طياتها حرص المـتكلم علـى ما ينفع المخاطب ورغبته في امتثال الأمر لما فيه من فائدة تعـود علـى المخاطب ، ثم ساق لهم مثالاً يرغبهم أكثر وأكثر فقال: « ألا

(52) صحيح مسلم ج٢ ص٣٨٨ ك : الصلاة ، ب : الأمْرِ بِالسُّكُونِ فِى الصَّلاَةِ .
(53) يرجع شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص٣٨٩ .

تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ » والكل يعلم أن الملائكة أعلى درجة في العبادة من البشر فهم مجبولون على الطاعة والعبادة بأصل الخلقة .

وبهذا المثال الراقى في العبادة أثار النبي ﷺ فيهم الفضول إلى معرفة كيفية اصطفاف الملائكة في الصلاة ، فسارعوا في سؤاله " وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ وبهذا نجح النبي ﷺ في تهيئتم وإعدادهم لتلقى ما يقوله في شوق واتنتباه ويقظة ، ولو أنه ﷺ ألقى إليهم الأمر بإتمام الصفوف مباشرة دون استخدامه لهذه الطريق التحضيضية ربما صادف نفوساً غير مهيأة أو غافلة فلم يلق الأمر قبولاً بهذه الدرجة التى رأيناها في الحديث .

أيضاً: من النماذج التى جاءت فيها ألا تفيد الحث والتحضيض في حديثه ﷺ حديث حذيفة بن اليمان ﷺ يصف حالة الصحابة في عزوة الأحزاب وما كانوا فيه من برد وخوف شديد يخاف الواحد منهم أن يقوم من مكانه .روى إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ : فَقَالَ رَجُلٌ : لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ : أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقَرٌّ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينِى بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ « أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ »؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ « أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ فَقَالَ : « قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ». فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِى بِاسْمِى أَنْ أَقُومَ . "[٥٤] .

يصور حذيفة ﷺ في هذا الحديث الحالة الشديدة التى كانوا فيها ليلة الأحزاب حيث أصابتهم ريح شديدة وبرد شديد ، لا يأمن الواحد منهم في هذه الحالة على نفسه فقال:" أخذتنا ريح شديدة وقر " وكأنه بذلك يقدم المعذرة عنه وعن أصحاب النبي ﷺ حين طلب منهم أن يقوم رجل منهم ليتحسس أخبار العدو ثم يعود بالخبر .

(54) صحيح مسلم ج٦ ص٣٨٦ ك : الجهاد والسير، ب : غَزْوَةِ الأَحْزَابِ .

ولأن النبـــي ﷺ يعلـــم صعوبة المهمة لم يشأ أن يكلف أحدهم مباشرة إنمـــا عـــرض الأمر في ثوب العمل المشروط بجائزة عظيمة وهى أن يكون معـــه يـــوم القيامة ، ثم حض على امتثال الأمر والفوز بالجائزة بأداة الحث والتحـــضيض " ألا " ترغيباً وتشجيعاً على الامتثال، لكن سكوت الصحابة مع طاعـــتهم الشديدة لأوامر المصطفى ﷺ يعكس الحالة الشديدة التى كانوا فيها وقـــد صـــور القـــرآن الكريم هذه الحالة فقال تعالى في سورة الأحزاب { إِذْ جَـــاءُوكُم مِّـــن فَـــوْقِكُمْ ومِـــنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِـــرَ وتَظُـــنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَـــدِيداً } ومع ذلك يكرر النبي ﷺ الطلب ثلاث مرات مشفوعاً بهذه الجائزة الغالية ليشير إلى أهمية الطلب ومدى خطورة الموقف، فالتكرار بدوره يجسد هـــذه الأهمـــية ، والجائزة التى عرضها النبي ﷺ تؤكد على ذلك ، لأنه بقدر الجائـــزة تقـــدر الأمـــور التى من أجلها رصدت ، والجائزة جملة خبرية لا تحتمل إلا الصدق في هذا المقام ؛ لأنها صادرة من الصادق المصدوق الذى لا يـــنطق عـــن الهوى ، أوأنها خبرية لفظاً إنشائية معنى ، أى أدعو الله أن يجعله يوم القيامة أو اللهم اجعله معى يوم القيامة .

وإلحـــاح النبـــي ﷺ وتكريـــره لهذا الطلب يصور رغبته الشديدة في تحقـــيق هـــذا الأمـــر، وهـــذه الـــرغبة تخفى وراءها تمنياً حبيساً في نفس المـــصطفى ﷺ تـــولد عـــنه الحض والحث الشديد، وهذا يرشح وجهة نظر السكاكى من أن معنى التحضيض تولد عن تمنٍ كامن وراء هذه الأداة " ألا " التى كانت في الأصل " هلا " ثم قلبت الهاء همزة .

وبهـــذا تكـــون " ألا " في هذا الحديث قد أماطت اللثام عن تمنى أمر محـــبوب صـــعب التحقيق يحتاج إلى قدر كبير من الشجاعة يتناسب مع قدر الجائـــزة المعروضة ، ثم تتولد عن هذا التمنى رغبة شديدة في تحقيق هذا الأمر ، تجسدت هذه الرغبة في أداة الحث والتحضيض المتكررة ثلاث مرات لتنم عن خطورة الأمر وأهميته.

مـــن خـــلال هذه النماذج التى شرحناها يتبين لنا ورود هذا المعنى " معنى الحث والتحضيض " ضمن دلالات " ألا " في حديثه ﷺ ، كما يتصح لنا أن هذا المعنى يخفى وراءه تمنياً حبيساً في النفس تختلف درجاته باختلاف الأمـــر الذى يحض عليه ، والذى تجسد " ألا " في مقامها درجة الرغبة عند المتكلم في حدوث الأمر .

المبحث الثالث

استعمالها لإفادة العرض

وردت " ألا " في حديثه ﷺ مفيدة معنى العرض وهو طلب الامتثال والتنبه إلى ما سيعرض على المخاطب من الخبر بلطف ولين ، فالعرض لون من ألوان الحث والتحضيض لكن الفرق بينهما دقيق يكمن ـ كما قال النحاة ـ في درجة الحث ، فالعرض حث بلطف ورفق ولين والتحضيض حث بإزعاج وتشديد[٥٥] بمعنى أن الحث الذى في العرض يدور في فلك الإرشاد إلى أمر ربما كان يعلمه المخاطب لكنه لا يدرك درجة الأهمية فيه ، فهو يعرض عليه الأمر بلطف لينظر ويتأمل في هذا الأمر ويختار بنفسه ، أو يحذره من أمر ربما أيضاً كان يعلمه المخاطب لكن المتكلم أراد أن يؤكد على خطورته ليجتنبه المخاطب ، ولذلك ربما لا ينتظر المتكلم جواب المخطب بالقبول لهذا العرض ، ويدخل إلى الأمر الذي سيعرضه مباشرة ، أما الحث في معنى التحضيض ففيه من الإزعاج والتشديد ما يصل إلى حد الأمر والإلزام فهو عندما يقول له : ألا تفعل كذا ! كأنه قال : إفعل وإياك أن تتخلف .

ولذلك يقول الدكتور/ عز الدين على السيد عن درجة التلطف في العرض" وفيه من اللطف وجلب الامتثال وتحريك كامنة المخاطب ما ليس في صيغة الأمر، لأنه يشعر المخاطب بشخصيته ، وأنه طرف حر السلوك والاختيار"[٥٦]

كأنك حينما تقول للمخاطب " ألا أدلك على كذا " تخيره بين القبول والرفض وتشعره بأنه حر في هذا الاختيار فترفع درجة ثقته في نفسه وتشعره أنه يمتلك عقلاً قادراً على تقدير ما سيعرض عليه من خبر، وإدراك دافع الحب والحرص الذى يمكن وراء عرض المتكلم .

وما سنعرضه من نماذج سيوضح ذلك وإليك التفصيل :

---

(55) يراجع الجني الداني للمرادى ص٣٨٤ .
(56) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص٣٤٩ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ » قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ »(٥٧)

الحديث يعرض خصالاً ثلاثاً من خصال الخير ، هى صغيرة وبسيطة في العمل لكن الخير الذى يرجى من ورائها كثير ، وهذه الخصال الثلاث ربما يعلم المخاطب بما فيها من فضل ، لكنه ربما كان لا يعلم أنها تصل إلى حد محو الخطايا ورفع الدرجات وهو لب ما يرجو المسلم في كل عبادته ، ولذا آثر النبي ﷺ أن يثير مكامن المخاطب ويحرك فيه الشوق إلى معرفة هذه الأمور الخطيرة ، إذ هى ضالته التى ينشدها وبغيته التى يطلبها ، فجاءت " ألا " التى تعرض بلطف ورفق لتشعر أن الأمر مجرد إرشاد ودلالة على الخير، ثم تدع المخاطب حراً في الاختيار ؛ فإذا ما أقبل على فعل هذا الأمر كان في همة ونشاط ، لأن اتباعه لهذا الأمر نابع عن اختياره وثقته في عقله ، فضلا عن تصديقه للنبي ﷺ وإدراكه لحرصه عليه.

ولأن هذه الأمور وهى إسباغ الوضوء وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة " أمور ربما لا يفطن المخاطب إلى أهميتها نظراً لصغر حجمها ، استخدم النبي ﷺ بعد هذا العرض" بألا " صفة الفعل " أدلكم" التي توحي بالإرشاد إلى الأمر غير المعروف أو الطريق المجهول . ومنها الدلالة على الطريق ، فالرجل الذي لا يعرف الطريق ربما يكون الطريق بين يديه ، لكنه لا يدرى كيف يسلكه ، فعندما يدله أحد على معالمه يسلكه بثقة واطمئنان، وهذه الأمور ربما كانوا يعقلونها لكنهم يجهلون قدرها ولا يعرفون فضلها، لذلك دلَّهم النبي ﷺ على فضلها ، فكان من حسن المناسبة بين اللفظ والمعنى استخدامه ﷺ لهذه الصيغة " أدلكم "(٥٨) .

---

(57) صحيح مسلم ج٢ ص١٤٢ ك : الطهارة ، ب : فضل إسباغ الوضوء على المكاره .

(58) يسميه علماء البديع ائتلاف اللفظ مع المعنى وهو " أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى " تحرير التحبير لابن أبى الإصبع المصرى تحقيق حفنى محمد شرف ص١٩٤ ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .

كما أنه ﷺ أراد أن يؤكد على خطورة وفضل هذه الأعمال مع ما فيها من قلة الجهد فعقب كلامه بعد ذلك بقوله : " فَذلكُم الرِّباط" إلهاباً لعزائمهم حتى لا تفتر عن إدراك هذا الفضل ، فوصف هذه الأعمال بالرباط الذي هو ربط النفس وإلزامها على الوقوف في الجهاد ، ثم الإشادة بهذه الأعمال عن طريق اسم الإشارة المضاف إلى لام البعد التى توحي ببعد المنزلة وعلو المكانة ، بل في رواية أخرى كرر هذه الجملة فقال: " فَذلِكم الرِّباط فذلِكم الرِّباط " اهتماماً بشأن هذه الأمور وتعظيماً لقدرها.

خلاصة الأمر:أن العرض لهذه الخصال بـ" ألا " ألهب عزيمة المخاطب إلى الامثال وشوقه إلى الالتزام بهذه الأمور، لأنه جاء بطريقة تدع له الفرصة في التفكير والتروى فيزداد قناعة واهتماماً بهذا الأمر(٥٩)

وكما جاء العرض في الترغيب في أعمال الخير والحث عليها وتحريك همم السامعين إلى اغتنام الفرص فيها ، أيضاً جاء العرض ترهيبًا وزجراً عن أعمال ينبغى البعد عنها وعدم التهاون بها لأنها تؤدى إلى المهالك ، من ذلك حديثه ﷺ في التحذير من أكبر الكبائر .

عَن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبى بَكْرَةَ ﷺ عَنْ أبِيهِ قالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقالَ : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ - ثلاثًا - الإشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أوْ قَوْلُ الزُّورِ ». وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ " (٦٠)

تراه ﷺ في هذا الحديث يحذر أصحابه من موبقات ثلاث عدَّها أكبر الكبائر، ولأن هذه الأمور الثلاثة عظيمة الخطر استخدم معها النبي ﷺ لفظة أنبئكم ولم يقل أخبركم أو أحدثكم ، لأن النبأ كما يقول الراغب : خبر ذو فائدة عظيمة(٦١) .

---

(59) يراجع شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص١٤٣ .
(60) صحيح مسلم ج١ ص٣٥٩ ك : الإيمان ب : الكَبَائِر وَأكْبَرِهَا .
(61) مفرادات غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص٤٨١ تحقيق محمد سيد كيلانى ط : دار المعرفة بيروت.

أو أنها أمور لا يعلم المخاطبون عنها شيئاً فاستخدم النبأ لأنه لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر "(٦٢)

أو أنهما معاً فالأمور التى سينبئ عنها النبي ﷺ خطيرة يجب التحذير منها ، كما أن المخاطبين كانوا لا يدركون خطرها فاستخدم ﷺ مادة النبأ ليشير إلى أن ما سيأتى من كلام له شأن خطير يجب التنبيه إليه .

ثم يستخدم مع هذه اللفظة" أنبئكم" ألا التى للعرض إشارة إلى أن الدافع من تحذيرهم من هذه الموبقات إنما هو خوفه ﷺ عليهم وحرصه على دفع الأذي عنهم.

ثم يبالغ ﷺ في تأكيد هذا الخطر بتكريره لأداة العرض ومادة النبأ ثلاثاً، والتكرير في مثل هذا المقام عادته ﷺ تأكيداً وتنبيهًا للسامع على إحضار قلبه وفهمه ليدرك خطورة الأمر(٦٣) .

فاجتمع هنا ثلاثة أساليب للتوكيد هم: " ألا " التى تفيد العرض برفق ولين حتى لا يسأم المستمع، "ومادة النبأ" التى توحى بعظم المخبر به ، " ثم التكرار للعبارة ثلاثاً " ، بل إنه ﷺ يزيد معنى التخويف والترهيب تصعيداً حيث وصف الثلاثة المخبر عنها بأنها أكبر الكبائر « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ» بل زاد الأمر شدة وتخويفًا بهذا الإبهام الذى سيعقبه الإيضاح والتفصيل . كل ذلك ليمهد نفس المخاطب ويعدها إعداداً جيداً لتلقى النبأ في حضور قلب ويقظة فكر ، وحتى يقع الكلام من نفوسهم موقعاً حسناً .

ونلحظ أنه ﷺ قد قرن عقوق الوالدين وقول الزور بالإشراك بالله مع أن الإشراك لا يعدله شئ، وذلك ليشتركان معه في شدة التحذير، لأنهما أمران كبيران قد يستهين بهما كثير من الناس مع مالهما من خطر. يقول العيني " وإنما قرن عقوق الوالدين وقول الزور بالإشراك بالله مع أنه لا ذنب

(62) يراجع الفروق اللغوية لأبى هلال ص٢٩ تحقيق حسام الدين القدسي ط : مكتبة القدس القاهرة .
(63) عمدة القارئ للعينى ج٢٢ ص٨٨ .

أكبـــر من الإشراك ، لأنهما يشابهانه من حيث إن الأب سبب وجوده ظاهرًا، ومن حيث إن المزوِّر يثبت الحق لغير مستحقه فلهذا ذكرهما"(٦٤)

بل فوق ذلك أخذ يكرر ﷺ التحذير من قول الزور حتى تمنى الصحابة أنـــه لـــو سكت ﷺ شفقة عليه من شدة الانفعال في حديثه ، وهذا يدل على خطـــورة قول الزور وقبحه وعظيم جرمه ، وقد تكرر التحذير من قول الزور مع " ألا " ألا وقول الزُّور " تنبيهاً وتأكيداً على شدة خطرها فكانت " ألا " في أول الحـــديث وفـــي آخره أداة عرض وتنبيه وصلت بالمخاطب إلى حالة من التيقظ والإدراك لكلام النبي ﷺ ما كان ليصل المخاطب إلى هذه الدرجة لو لم تذكر.

أيـــضا : مـــن النماذج التى جاءت فيها " ألا " للعرض حديثه ﷺ عن الـــثلاثة الذين جاءوا إلى مجلسه فأخبر عن أحوالهم مصدراً كلامه بـــ " ألا " التـــى للعرض ، فقد روى أبو وَاقِدٍ اللَّيْثِىُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِـــى الْمَـــسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلاَثَةٌ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَـــبَ وَاحِـــدٌ . قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِى الْحَلْقَـــةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ « <u>أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟</u> أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّـــهِ فَـــآوَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ »(٦٥)

هـــذا الحديث يروى قصة هؤلاء الثلاثة الذين جاءوا إلى مجلس النبي ﷺ فجلس اثنان وأعرض الثالث عن المجلس وأدبر ذاهبًا، وقد رأى الصحابة فعـــل الثلاثة لكن خفي عليهم مقصدهم فأراد ﷺ أن يعلمهم بمقصد كل واحد مـــنهم ومـــا أعده الله لكل واحد منهم جزاء عمله وهو ﷺ المعصوم لا ينطق عـــن الهـــوى ، فصدر حديثه ﷺ عن شأن هؤلاء الثلاثة بـــ " ألا " التى تفيد العرض تشويقاً لهؤلاء الجالسين إلى معرفة الخبر ، وإيقاظًا لهم لأن قصتهم

---

(64)عمدة القارئ ج٢٢ ص٨٩ .

(65) صحيح مسلم ج٧ ص٤١٣ ك : السلام ، ب : مَنْ أَتَى مَجْلِسًا فَوَجَدَ فُرْجَةً فَجَلَسَ فِيهَا وَإِلاَّ وَرَاءَهُمْ .

تتعلق بأحوال الناس في مجالس العلم ، وقد يتكرر مثل موقفهم بعد ذلك مرات ، لذلك أراد ﷺ أن يخبر بمقصد الثلاثة حتى يعتبر الناس بأحوالهم ، فناسب ذلك أن يبدأ الحديث بـ" ألا " التى هى للعرض ليعطى الخبر درجة من الأهمية ولينبه السامع ليعقل كل كلمة فقال: " أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ ؟" وبهذا العرض قد أثار فضول السامعين إلى معرفة تفاصيل ما سيلقى عليهم من أمر هؤلاء ، وعندما تهيأ الحاضرون لسماع خبرهم لم يمهلهم النبي ﷺ أن يجيبوه لهذا العرض ، بل شرع في الإخبار مباشرة فقال : فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً... " لأنه رأى النفوس مهيئة فأراد أن يعلمهم الخبر مباشرة حتى لا يدع لأى سامع فرصة للشرود أو الغفلة .

وثمة أمر مهم : وهو أنه ﷺ استخدم مادة " الخبر " فقال " ألا أخبركم" ولم يقل: " ألا أنبئكم" كما في الحديث السابق وهذه دقة من النبي ﷺ في استخدام الألفاظ في مواضعها " فقد استخدم هناك في الحديث السابق أنبئكم لأنه كلام عظيم وخطير لا يعلمه المخاطب فاستخدم مادة النبأ التى تقال للخبر الذي لا يعلمه المخاطب ، أما هنا فالناس قد رأوا النفر الثلاثة وشاهدوا ما صدر منهم ، فناسب أن يستخدم النبي ﷺ مادة الخبر التى تستخدم فيما يعلمه المخاطب (٦٦)

وبهذا يكون النبي ﷺ باستخدامه لـ" ألا " ولمادة " الخبر " قد مهد عقول المخاطبين لتلقى ما يقول بنفوس مهيأة وعقول متيقظة .

وهكذا جاءت " ألا " التى تفيد العرض في باقى النماذج تمهد وتشير على المخاطب بلطف أن يسمع ما يلقى إليه لتدع له مساحة من الحرية حتى يقبل على الأمر باهتمام وتشوق .

وقد تبين من خلال النماذج التى جاءت فيها " ألا " للعرض أن أكثرها جاء مع لفظة " أدلكم " أو" أنبئكم " أو " أخبركم " كما في النماذج التى شرحناها ونماذج أخرى من نحو قوله ﷺ : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ»(٦٧)

---

(66) يراجع الفرق بين الخبر والنبأ في الفروق اللغوية لأبى هلال ص ٢٩ .
(67) صحيح مسلم ج٦ ص٢٥٨ ك : الأقضية ، ب : بَيَانِ خَيْرِ الشُّهُودِ .

وقــوله ﷺ : « أَلاَ أُخبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلاَمِ إِلَى اللَّهِ »[٦٨] وقوله ﷺ : « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَــى كَنْــزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ »[٦٩] وقوله ﷺ : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ هِيَ النَّمِــيمَةُ ..»[٧٠] ففــي هذه النماذج تبين أن استخدامه ﷺ لمادة الدلالة " ألا أدلكــم " كــان في الجانب الترغيبى ، يحثهم بها على أعمال بها فضل على غيرها في الأجر والثواب ، واستخدامه لمادة النبأ "ألا أنبئكم" كان في الجانب الترهيبــى يحذرهم من أعمال تؤدى بهم إلى الهلاك والعذاب، أما استخدامه لمادة الخبر " ألا أخبركم " كان في الأمور الظاهرة التى يدرك منها المخاطب بعــض الجوانب . وهذه فروق لغوية دقيقة تنم عن عبقرية ﷺ في استخدام الألفاظ في مواضعها اللائقه بها بحيث تؤدى المعنى على أكمل وجه .

(68) صحيح مسلم ج٩ ص٥٦ ك : الذكر والدعاء ب : فَضْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ .
(69) صحيح مسلم ج٩ ص٣١ ك: الذكر والدعاء ب : اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ.
(70) صحيح مسلم ج٨ ص٤٠٥ ك : البر والصلة والأدب ب : تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ

المبحث الرابع

استعمالها لإفادة معنى الإنكار والتوبيخ

وردت " ألا " في حديثه ﷺ مفيدة معنى الإنكار والتوبيخ وذلك في مواقف تستدعي ذلك ، حيث يقوم المخاطب بفعل ما لا ينبغي أن يكون ، أو يقصر في أمر كان ينبغي أن يكون بصورة أحسن ، فيوجه النبي ﷺ الإنكار إلى الفعل المخالف فيه ، والتوبيخ لمن قام بهذا الفعل ، في إطار الإرشاد إلى الأفضل حتى لا يعود المخاطب إلى مثل هذا الفعل مرة أخرى أو في إطار الزجر والتأنيب على هذا الفعل .

فالإنكار عند البلاغيين هو: " إبراز المتكلم عدم موافقته على الأمر لأنه منكر"(٧١)

والتوبيخ : إما أن يكون موجهاً إلى المخاطب على أمر لم يقع ولكن خيف وقوعه بأن كان المخاطب بصدد أن يوقعه ، فيكون المعنى لا ينبغي أن يكون هذا الأمر، وإما أن يوجه إلى المخاطب وقد صدر منه الفعل المخالف فيكون بمعنى ما كان ينبغي أن يكون منك ذلك .(٧٢)

وتختلف درجات الإنكار بحسب الفعل الصادر من المخاطب فقد ترتفع إلى درجة الزجر والتأنيب الشديد عندما يكون الأمر المخالف فيه أمراً خطيراً، وقد تقل حدة الإنكار حتى تصل إلى درجة التأنيب واللوم البسيط عندما تكون المخالفة في أمر هين وسيتضح ذلك من خلال ما سنعرضه من نماذج توضح ذلك ــ إن شاء الله ــ فإليك التفصيل :

روى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً فَقَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ ؟ » قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاَحِ. قَالَ : « أَفَلاَ

(71) روائع المعانى د/ عبد الحميد محمد العبيسى ص١٠٩ مطبعة حسان ١٩٧٣م الطبعة الأولى .

(72) يراجع الإيضاح للخطيب ومواهب الفتاح لابن يعقوب ج٢ ص٣٠١ ضمن الشروح .

شَـقَقْتَ عَـنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ ». فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَىَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّى أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ " (٧٣)

الحديث هنا يصور واقعة أخطأ فيها أسامة بن زيد ﷺ فقتل رجلاً بعد أن نطـق بالشهادة ، ظناً من أسامة أنه قالها تقية وخوفاً من السيف ، وقد كلفـنا الإسلام أن نأخذ بالظاهر والله يتولى السرائر، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ اشتد غضبه وإنكاره لما صنع أسامة وقال له: " أَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ ؟ !! بهمـزة الإنكار التي تصور شدة استقباحه ﷺ وإنكاره على ما أقدم عليه أسامة من فعل الأمر الشنيع ، فيحاول أسامة ﷺ أن يبرر فعله هذا فيقول : " إِنَّمَـا قَالَهَـا خَـوْفًا مِنَ السِّلاَحِ " فيزداد إنكاره ﷺ على أسامة ويتوجه إليه باللوم والتوبيخ قائلا له: « أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ »

يقـول النووى : وَمَعْنَاهُ أَنَّك إِنَّمَا كُلِّفْت بِالْعَمَلِ بِالظَّاهِرِ وَمَا يَنْطِق بِهِ اللِّسَان ، وَأَمَّا الْقَلْب فَلَيْسَ لَك طَرِيق إِلَى مَعْرِفَة مَا فِيهِ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ اِمْتِنَاعه مِنْ الْعَمَل بِمَا ظَهَرَ بِاللِّسَانِ "(٧٤)

وأصل" أفلا " فألا دخلت فاء العطف على ألا التي هي مركبة من همزة الإنكـار ولا الزائدة أو النافية على ما يراه بعض النحويين (٧٥) ، والأصل أن تقـدم فـاء العطف على ألا لتعطف هذا الإنكار على ما سبق من كلام، لكن للمـبالغة في شدة الإنكار قدمت الهمزة (٧٦) فالإنكار هنا في أعلى درجاته ، لأنه يعنفه على ما فعله وكأنه يقول له: هلا شققت هذا القلب لتتأكد أقالها خوفاً أم لا وهذا ما لا يقدر عليه أسامة ، بل هو ما لم يكلف به .

---

(73) صحيح مسلم ج١ ص٣٧٦ ك : الإيمان ب : تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله.

(74) شرح النووى على صحيح مسلم ج١ ص٣٨١ .

(75) يراجع الدراسة النحوية في بداية البحث .

(76) قال ابن مالك " والأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف كما جيء بعده بأخواتها فكما يقال في " أفتطمعون " فأتطمعون ، لأن أداة الاستفهام جزء الاستفهام وهى معطوف على ما قبلها من الجمل لا يتقدم عليه جزء مما عطف عليه، ولكن اختصت الهمزة بتقدمها على العاطف تنبيها على أنها الأصل في أدوات الاستفهام، لأن الاستفهام له الصدارة في الكلام " ينظر شواهد التوضيح لابن مالك ص١١ ، ١٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط مكتبة دار العروبة .

وقـد صعد النبي ﷺ درجات الإنكار والتوبيخ لسيدنا أسامة عن طريق تكرار هذه العبارة التوبيخية التى تقع على نفس أسامة كأنها الصواعق .

يقـول ابن التين: " وفي هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقـدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد ، ويقول القرطبي " وفي تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك "(٧٧)

وبذلك تكون " ألا " قد وصفت حالة الزجر واللوم والتوبيخ التى لقيها أسـامة ﷺ مـن النبـي ﷺ جـزاء ما فعل، وقد بلغ الإنكار والتوبيخ أعلى درجاتـه، لأنه تعلق بمسألة القتل والدماء وهى من أعظم الحرمات عند الله تعالى .

أيضاً من النماذج التى جاءت فيها "ألا" للإنكار والتوبيخ بلهجة شديدة ما رواه أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قال : بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِـنَ الْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا ، فَقَالَ فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ : بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَـةُ بْـنُ عُلاَثَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : كُنَّا نَحْنُ أَحَـقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلاَءِ قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ « أَلاَ تَأْمَنُونِي ؟ وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً »(٧٨)

جـاء الإنكـار والتوبـيخ بـ" ألا " في هذا الحديث إثر اعتراض أحد الـناس على قسمة قسمها رسول الله ﷺ بين بعض أصحابه يتألف قلوبهم ، فقـال أحـد الناس كنا أحق بهذا من هؤلاء . فلما بلغ ذلك النبي ﷺ غضب وأنكر قول الرجل وقال في جملة إنكارية يعلوها اللوم والتوبيخ والتأنيب "أَلاَ تَأْمَنُونِـي ؟ وَأَنَـا أَمِـينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ" وقد وجه الإنكار والتوبيخ واللوم بـصيغة الجمـع والذى قال إنما هو أحد الناس ، لكن النبي ﷺ وجهه بهذه الصورة ليكون رداً على الجميع ، فربما وقع في نفوس بعض الناس مثل ما قال هذا الرجل لكن لم يتحدثوا بذلك ، فأراد ﷺ أن يعلم الجميع أنه أمين من

(77) إتحاف القارئ باختصار فتح البارى ج٥ ص٢٤٦ اختصار وتعليق صفاء الضوى العدوى ط : دار ابن الجوزى الطبعة الأولى ١٩٩٣م .
(78) صحيح مسلم ج٤ ص١٧٢ ك : الزكاة ، ب : ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ .

عند الله لا يتصرف من تلقاء نفسه إنما يتصرف بوحى من عند الله تعالى . وكأنـــه ﷺ يقول لهؤلاء الذين لعب الشيطان بقلوبهم : كيف لا تأمنونى على قسمة تافهة من أمور الدنيا وقد جعلنى الله أمينًا على هذا الدين ؟ ، تباً لهذه العقول ولهذه النفوس الضعفية التى تظن برسول الله ﷺ هذا الظن .

لقـــد جـــاء التوبيخ والتأنيب لاذعاً في درجة شديدة من الإنكار، لأن الإساءة لا تتعلق بشخص النبي ﷺ فربما سامح النبي ﷺ فيها ، لكنها تتعلق بالأمانـــة ، والأمانة صفة أساسية من صفات النبي المرسل ، لا ينبغى لأحد أن يظن أو شك في شئ منها ، وإلا لا يستحق أن يكون مسلماً .

وقـــد تهـــدأ درجة الإنكار والتوبيخ لتصل إلى درجة التأنيب بأسلوب هـــادئ إذا كـــان الفعـــل الـــذى يوبخ عليه فاعله أمراً بسيطاً يمكن تداركه وإصلاحه كما هو الحال في الحديث الذى رواه أبو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُـــولُ اللَّـــهِ ﷺ يَـــوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ « يَا فُلاَنُ أَلاَ تُحْسِنُ صَلاَتَكَ ؟ أَلاَ يَنْظُرُ الْمُصَلِّى إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّى ؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّى لِنَفْسِهِ . إِنِّى وَاللَّهِ لأُبْصِرُ مَنْ وَرَائِى كَمَا أُبْصِرُ مَنْ بَيْنَ يَدَىَّ»(٧٩)

ففى هذا الحديث نبرة الإنكار من النبي ﷺ هادئة لأنها في مقام التعليم والإرشـــاد ، إذ أن الـــرجل الذى لم يحسن صلاته ربما لم يكن قد تعلم كيفية الخشوع وإتمام الصلاة ، وربما كان حديث عهد بإسلام ، فترفق النبي ﷺ به فـــي الخطـــاب حتى جاءت نبرة التوبيخ بسيطة تصل إلى حد العتاب اللطيف فقـــال لـــه :" يَـــا فـــلان ألا تُحسنُ صَلاتك ؟ " بلطف وهدوء فهو إرشاد إلى الأفـــضل فـــي أمر الصلاة أى ينبغى عليك إذا دخلت في الصلاة أن تحسنها وتراعى الخشوع فيها إجلالاً لموقفك بين يدى الخالق جل وعلا .

وقـــد ســـاعد على تلطيف الجو وتقليل درجة التوبيخ نداؤه ﷺ للرجل باسمه نداء تلطف وتودد حتى يهدئ من روعه ويعلمه برفق ورحمة .

---

(79) صحيح مسلم ج٢ ص٣٨٤ ك : الصلاة ،ب : الأمْر بِتَحْسِينِ الصَّلاَةِ وَإِتْمَامِهَا وَالْخُشُوعِ فِيهَا.

ثـم لمـا كان أمر تحسين الصلاة وإتمام الخشوع أمراً عاماً لا يخص هـذا الرجل وحده توجه بعد ذلك بنفس الأسلوب الهادئ إلى الصحابة فقال:" ألا يَنظرُ المُصلى إذا صلَّى كَيفَ يُصلِّى؟" لتقع الموعظة للجميع وحتى لا يظن أحد الحاضرين أن الخطاب للرجل المخطئ فقط .

ثم انظر إلى اهتمامه ﷺ بأمر الصلاة حيث لم يقل ألا ينظر أحد كم إذا صلى بل وصفه بصفة الصلاة فقال " ألا ينظر المُصلّى " ثم أعاد وأكد بدخوله فـي الصلاة " إذا صلَّى " ثم أرشد إلى تحسين الصلاة " كَيفَ يُصلِّى " فصدر ذلـك بـالا تأنيبًا للمقصر ولومًا وتوبيخًا على استهانته بأمر الصلاة، وحثًا وحضاً على إكمالها وإتمام ركوعها وسجودها وخشوعها، حتى تشهد له يوم القيامة .

واستخلاصـاً ممـا سبق يمكن أن نقول: إن درجات الإنكار والتوبيخ تـتفاوت فترتفع إلى أعلى درجات الإنكار، وتشتد نبرة اللوم والتوبيخ عندما يكـون الأمر المنكر أمراً خطيراً كما رأينا في حديث أسامة بن زيد ﷺ عندما أخطـأ وقتل الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله ، فاشتد إنكاره ﷺ عليه وما زال يكرر عبارة اللوم والتوبيخ حتى تمنى أسامة أن لو لم يكن أسلم قبل ذلك .

ثـم تهـدأ نبـرة الإنكار درجة عندما يكون الأمر أقل من ذلك كما رأيناه في حـديث الـرجل الـذي اعترض على قسمة قسمها رسول الله ﷺ بين رجال يتألف بها قلوبهم فوجدنا أن الإنكار أقل حدة من سابقه ، فلم يوجه النبي ﷺ الإنكار والتوبيخ إلى الرجل مباشرة ، ولكن عمَّم الخطاب فقال: " ألا تأمنونى ... وأنا أمين من في السماء .. "

ثم تهدأ درجة الإنكار أكثر حتى تصل إلى درجة التأنيب بلطف ورقة ، وذلـك فـي مقام الإرشاد والتعليم كما رأيناه في الحديث الثالث حيث تلطف النبـي ﷺ مـع الرجل الذي لم يحسن صلاته وناداه باسمه تودداً إليه حتى يخفف من حدة التأنيب .

وبـذلك يمكـن أن نقول: أن الأمر المخالف فيه هو الذي يحدد درجة الإنكار والتوبيخ صعوداً وهبوطاً حسبما يقتضيه المقام .

المبحث الخامس

استعمالها لإفادة معنى اللوم والعتاب

اللـــوم والعتاب درجة من درجات الإنكار الذي تحدثنا فيه، لكنه يفترق عنه بأنه أقل درجات الإنكار، فهو أهدأ وألطف في الأسلوب ، كما أنه تشوبه العاطفـــة ، فغالـــباً ما يكون بين الأحبة ، يلجأ إليه المتكلم عندما يحدث أمر يعكـــر العلاقـــة بـــين الطرفين ، فيأتي هذا العتاب الهادئ يزيل ما علق من شـــوائب ويوضـــح ما اختلط من الأمور ، فتصفى النفوس وتعود الأمور كما كانت .

ومـــن ألطف الأحاديث التي تجسد فيها اللوم والعتاب بصورة واضحة حديـــثه ﷺ إلى الأنصار حين وجدوا عليه في تقسيم بعض الغنائم على بعض من تألف قلوبهم .

فقـــد روى أنـــسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أَفَـــاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي رِجَـــالاً مِنْ قُرَيْشٍ الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ فَقَالُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ !

قَـــالَ أَنَـــسُ بْـــنُ مَالِكٍ فَحُدِّثَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِمْ فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْـــصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ ». فَقَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ . أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا يَا رَسُولَ اللَّـــهِ فَلَـــمْ يَقُولُـــوا شَيْئًا ، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ ، قَالُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُـــولِهِ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَإِنِّـــي أُعْطِـــي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ أَفَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ الـــنَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ! فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْـــرٌ مِمَّـــا يَنْقَلِبُونَ بِهِ ». فَقَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا. قَالَ « فَإِنَّكُمْ سَـــتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ ». قَالُوا سَنَصْبِرُ(٨٠)

---

(80) صحيح مسلم ج٤ ص١٦٢ ك: الزكاة ب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه .

انظر كيف عاتب النبي ﷺ الأنصار ولامهم على ما صدر منهم في أسلوب هادئ لطيف ينم عن عاطفته ﷺ نحو الأنصار وحُبِّه إياهم، حيث قدم تبريراً لما صنع قبل أن يعاتبهم ، وهو أنه فعل ذلك يتألف به قلوب هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام حديثاً ووكل الأنصار إلى إيمانهم وصحبتهم ، وبعد أن مهد لهذا العتاب وهيأ قلوبهم حيث بين لهم السبب في إعطاء هؤلاء وأنه لم يكن لتفضيل هؤلاء عليهم ، لامهم على هذا القول وعاتبهم عتاب المحبِّ الذى يترضى حبيبه قائلاً " أَفَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ !" أى لطف في العتاب أرق من ذلك ، انظر إليه ﷺ وهو من هو يترضاهم ويقول " أفلا تَرْضَوْنَ.. " إنه عتاب يمس شغاف القلوب ليسمح عنها ما قد علق بها من شئ وجدوه في نفوسهم إثرهذه القسمة ، لقد استطاع النبى ﷺ ببلاغته أن يعالج الموقف وأن يعود بالقوم إلى الحب والولاء ، ولو تركهم النبى ﷺ على حالهم ولم يعاتبهم على هذا الأمر ، لربما نزغ الشيطان في قلوبهم أو تهيأت الفرصة لأصحاب القلوب المريضة من أهل النفاق أن يدخلوا على هؤلاء الأنصار مدخلاً عظيمًا يفسدوا عليهم إيمانهم وتصديقهم بالنبي ﷺ ، لكن النبي ﷺ وهو طبيب هذه الأمة أراد أن يئد الفتنة في مهدها ، ويقطع الطريق على هؤلاء المنافقين فجمع الأنصار وعالج الموقف بهذا العتاب الرقيق واللوم الحاني ، فكان هذا العتاب شفاءً لقلوبهم وإزالة لما علق بها من أمور لُبِّست عليهم .

أيضاً من النماذج التي جاءت فيها " ألا " تفيد اللوم والتأنيب ردُّ النبي ﷺ علي عمر بن الخطاب ﷺ عندما راجعه في شأن الكلالة في الميراث .

فقد روى مَعْدَانَ بْنِ أَبِى طَلْحَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَذَكَرَ نَبِىَّ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ : إِنِّى لاَ أَدَعُ بَعْدِى شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِى مِنَ الْكَلاَلَةِ مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِى شَىْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِى الْكَلاَلَةِ وَمَا أَغْلَظَ لِى فِى شَىْءٍ مَا أَغْلَظَ لِى فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِى صَدْرِى وَقَالَ « يَا عُمَرُ أَلاَ تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِى فِى آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ ». وَإِنِّى إِنْ أَعِشْ أَقْضِ فِيهَا بِقَضِيَّةٍ يَقْضِى بِهَا

مَنْ يَقْرَأ الْقُرْآنَ وَمَنْ لا يَقْرَأ الْقُرْآنَ"(٨١)

وقصة هذا الحديث كما جاء في الروايات الأخرى أن عمر بن الخطاب ﷺ مرض فعاده النبي ﷺ وأبو بكر، وكان في مرض شديد ، فسأل عمر رسول الله ﷺ كيف يقضى في ماله ، هل يوصى به لأولاده أم لا ، فلم يرد عليه النبيَ ﷺ حتى نزلت آية الميراث {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ} النساء١٧٦ وقد راجع عمر النبي ﷺ مرات في أمر الميراث ، فقال له النبي ﷺ بعد أن طعنه في صدره بأصبعه "يَا عُمَرُ أَلا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ" إشارة إلى الآية السابقة وسماها آية الصيف لأنها نزلت في الصيف ، وقد أغلظ لهُ النَّبِيّ ﷺ لِخَوْفِهِ مِنْ اتِّكَالِهِ وَاتِّكَال غَيْرِه عَلَى مَا نَصَّ عَلَيْهِ صَرِيحًا ، وَتَرْكهمْ الِاسْتِنْبَاط مِنْ النُّصُوص ، وَقَدْ قَالَ اللَّه تَعَالَى {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} النساء: ٨٣، فَإِذَا أَهْمَلَ الِاسْتِنْبَاط ، فَاتَ الْقَضَاء فِي مُعْظَم الْأَحْكَام النَّازِلَة أَوْ فِي بَعْضهَا"(٨٢)

ولعلنا من خلال مراجعة عمر بن الخطاب ﷺ للنبي ﷺ في أمر الميراث والوصية نعلم أهمية هذا العلم وخطورته لتعلقه بالمال والتركة ، وهي أمور يكثر فيها النزاع ، ولعل هذا هو الذي جعل عمر بن الخطاب ﷺ يكثر مراجعة النبي ﷺ في ذلك ، فهو يريد أن يعلم كل شئ يتعلق بذلك من النبي ﷺ وهو أمر صعب ، لأنه سوف تظهر مسائل لم يقض فيها النبي ﷺ بشئ ، لذلك لام النبي ﷺ عمر ﷺ على ترك الاستنباط من آية الميراث ، فأصل الميراث قد ذكر في هذه الآية وآيات أخرى معها ، ثم يبقى تفصيل هذه المسائل من خلال استنباط أولى العلم وفهمهم بنص الآية{ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} .

لكن تأنيب النبي ﷺ ولومه لعمر ﷺ كان في لطف وموادعة ، لذا استهله بالنداء " يا عمر" تأنيساً وتلطفاً به ثم لامه بعد ذلك بقوله " ألا تكفيك آية الصيف "حتى لا يترك عمر وغيره الاستنباط من الآيات ،

(81) صحيح مسلم ج٦ ص٦٣ ك : الفرائض ، ب مِيرَاثِ الْكَلالَةِ رقم ١٦١٧ .
(82) يراجع شرح النووى على صحيح مسلم ج٦ ص٦٤ ، ٦٥ .

فالمسائل في أمر الميراث كثيرة وأصول هذه المسائل في كتاب الله وسنة رسوله ويبقى على العلماء أن يستنبطوا الأحكام التي لم ينص عليها القرآن.

فاللوم والتأنيب هنا كان لغرض حثّ عمر ﷺ وغيره على الاجتهاد ، ويبدو أن اللوم والتأنيب كان بصورة شديدة حتى قال عمر ﷺ «وَمَا أغلظ لِي فِي شَيْءٍ مَا أغلظ لِي فِيهِ حَتَّى طعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي» وَقَالَ « يَا عُمَرُ أَلاَ تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ » فوصف عمر ﷺ لتأنيب النبي ﷺ بالإغلاظ يشعرك بأهمية أمر الاستنباط وخطورة تركه، حتى لا يضيع العلم وحتى لا تضيع أحكام الميراث .

أيضا: من الأحاديث التي جاءت فيها " ألا " تفيد معنى اللوم والتأنيب لكنه في أقل درجاته وأخفها ما جاء في حديث اعتزال النبي ﷺ نسائه ودخول عمر بن الخطاب ﷺ عليه والحديث طويل نذكر منه موضع الشاهد :

قَالَ عُمَرُ : " فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ . قَالَ : فَابْتَدَرَتْ عَيْنَاىَ قَالَ « مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ » قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لاَ أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرَى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى ، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ فَقَالَ « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا » ؟ قُلْتُ بَلَى ... " (٨٣)

هذه القطعة من الحديث تبين جانباً من حياة النبي ﷺ وزهده في الدنيا فهو يعيش عيشة البسطاء المتواضعين ، بيته وهو أفضل البيوت على الإطلاق ما فيه إلا حصير قد أثر في جنبه وقبضة من شعير ، وأفيق أي جلد لم تتم دباغته ، فلما رأى عمر ﷺ ذلك بكى رحمة وشفقه بالنبي ﷺ ؛ إذ هو أكرم الخلق وهذا حاله ، وقد تذكر أن كسرى وقيصر في الثمار والأنهار مع

(83) صحيح مسلم ج٥ ص٣٤٠ ك : الطلاق ، ب: فِي الإِيلاَءِ وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} .

أنهم كفار، فسأله النبي ﷺ " ما يبكيك يا ابن الخطاب " وهو سؤال أريد به الحقيقة ؛ لأنه رأى أثر البكاء والدموع في عينيه ، فلما علم أن بكاءه بسبب ما رآه من بساطة العيش وضيق الحال مقارناً ذلك بما عند كسرى وقيصر عاتبه النبي ﷺ في لطف ولامه على هذه المقارنة مهوناً عليه الأمر بأن قابل هذه المقارنة بمقارنة أخرى ــ وشتان ما بين المقارنتين ــ فقال له " يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا " عند ذلك هدأت نفس عمر ﷺ وقال : بلى، وذلك لأنه عندما تقاس الدنيا بالآخرة فالأمر عند المؤمن هين ، لأن كل ضيق أو فقر في الدنيا ينسى عند أول غمسة في الجنة ، وكل نعيم أو ترف في الدنيا ينسى عند أول غمسة في النار والعياذ بالله .

ولأن الصبر على شدة العيش في الدنيا ليس بالأمر الهين على النفوس البشرية بما فطرها الله عنى حب المال والراحة في الدنيا كان لومه ﷺ لعمر ﷺ هادئًا رقيقًا، فلم يقل له مثلاً كيف تقول ذلك أو ما كان ينبغي أن تقول وإنما نقله مباشرة إلى مقارنة مقنعة ، ليزول ما بقلبه من حزن أوأسف على ما رأى ، بل تلطف به في العتاب أكثر وأكثر حينما استهل هذا اللوم والعتاب بهذا النداء المحبب إلى قلب عمر حين قال له "يا ابن الخطاب" لأن فيه من المودعة والملاطفة ما فيه ، لأنه يدرك أن مقولة عمر ﷺ ليست من باب الاعتراض ، وإنما هي من باب الشفقة والرحمة برسول الله ﷺ وهو أكرم الخلق على الله والنبي ﷺ يعلم ذلك ، لذا جاءت نبرة العتاب واللوم هادئة رقيقة ترشد برفق وتعلم بإقناع ولطف .

وعلى ذلك يمكن أن نقول إن اللوم والتأنيب والعتاب تختلف درجاته وألوانه على قدر فعل المخاطب ، فتعلو نبرة التأنيب واللوم عندما يكون الخطأ كبيراً ، وتقل عندما يصغر الخطأ .

وعلى الجملة : فهذا المعنى لا يكون إلا مع من له قدر عند المتكلم لان اللوم والعتاب الحاني إنما ينم عن محبة المتكلم للمخاطب وإرادته له الخير، فهو عندما يلومه على أمر إنما يفعل ذلك ليرتقى به إلى الأفضل والأحسن ... لذا رأينا اللوم والعتاب والتأنيب في هذه النماذج كان مع أناس كانت لهم محبة في قلب النبي ﷺ .

المبحث السادس

استعمالها لإفادة معنى التقرير

التقريـــر مـــن المعانى البلاغية التى يستخدمها المتكلم لتثبيت حقيقة يريد الوصول إليها أو ليبنى على إقرار المخاطب كلاماً آخر مهماً يبنى عليه باقى كلامه ، وقد ذكر البلاغيون أن التقرير يأتى لأحد معنيين .

الأول : حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجاؤه إليه " أى حمل المـــتكلم للمخاطب على الاعتراف بالأمر الذى استقر عنده من ثبوت شئ أو نفيه " (٨٤)

والثانى : بمعنى التحقيق والتثبيت ومنه قوله تعالى : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } أى شرحناه لك بلا ريب ، وقولك لابنك وقد نهيته عن أمر أفعلت ؟ تريد أنت فعلت ، ولا تطلب جواباً .

والفـــرق بـــين الـــضربين أن الأول يـــستدعى جـــواباً والثانـــى لا يستدعى(٨٥) .

وقـــد جاءت " ألا " في حديثه ﷺ تفيد هذا المعنى بضربيه نأخذ بعض النماذج التى توضح ذلك .

عَـــنْ أبـــى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ « السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا » قَالُوا أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : « أَنْتُمْ أَصْحَابِى وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ » فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « أَرَأَيْـــتَ لَـــوْ أَنَّ رَجُـــلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَىْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلاَ يَعْـــرِفُ خَيْلَهُ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِـــنَ الْوُضُـــوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلاَ لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِى كَمَا

(84) حاشية الدسوقى على مختصر السعد ج٢ ص٢٩٤ ضمن شروح التلخيص .
(85) دارسة تفصيلية لبلاغة عبد القاهر الجرجانى تأليف د / عبد الهادى العدل ص ٢٤٨ المطبعة المنيرية ــ الطبعة الثانية ١٩٥٥م .

يُـذَادُ الْبَعِيـرُ الضَّالُّ أَنَادِيهِمْ أَلاَ هَلُمَّ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا »(٨٦).

في هذا الحديث يخبر النبى ﷺ عن تشوقه لرؤية أتباعه الذين يكونون مـن بعـده ، وقد سأله الصحابة ﷺ كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك ؟ فـضرب لهم مثلاً يؤكد به معرفته لأتباعه وتفقده إياهم يوم القيامة ، ولكى يكـون للمـثل دور في توضيح الفكرة لابد أن يكون من واقع بيئة المخاطب ومما يشاهده ، ولذلك ساق النبى ﷺ المثل من واقع حياتهم فمثل لهم معرفته لأصـحابه يـوم القيامة بمعرفة صاحب الخيل الغرّ المحجلة التى تمتاز عن باقـى الخـيل التـى لا يـوجد بها غرة أو تحجيل ، فإن صاحب هذه الخيل المميـزة مهمـا اختلطت خيله بالخيول الأخرى فإنها لا تشبيه عليه ، كذلك معـرفة النبـى ﷺ لأصـحابه وأتباعه يوم القيامة لا تشتبه عليه ، لأن لهم علامـة تميزهم عن غيرهم ، وهى بياض وجوههم وأيديهم وأرجلهم من أثر الوضوء .

وقد كان من الممكن أن يسلك النبى ﷺ الأسلوب المباشر في إخبارهم فيقول لهم إنهم يأتون يوم القيامة بغرة بيضاء ونور في الأيدى والأرجل من أثـر الوضـوء ، لكن لما كان للتمثيل دور في إيضاح الفكرة وتقريرها في نفس المخاطب سلك النبى ﷺ هذا الطريق فمثل لهم معرفته لأصحابه بمعرفة صـاحب الخيل خيله ، بل إن النبى ﷺ لم يكتف بذلك ، فسلك طريقاً آخر من طـرق التأكـيد والتحقـيق للمعنـى فاستخدم أسلوب التقرير الذى هو حمل المخاطـب علـى الإقـرار بمـا يعرف حتى يبنى باقى كلامه عليه فقال لهم مقرراً: " أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَىْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلاَ يَعْـرِفُ خَـيْلَهُ ؟ " انظر كيف أراد النبى ﷺ أن يستوثق من معرفة المخاطب للمـثل واتضاحه في ذهنه وضوحاً كاملاً . فقررهم بألا " أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟ " ولمـا كـان المثل واضحاً وربما كان واقعاً لكثير منهم أقروا جميعاً بالمعرفة قائلـين: " بلـى يا رسول الله " عندها تأكد النبى ﷺ من اتضاح الصورة في

(86) صحيح مسلم ج٢ ص١٣٧ ك : الطهارة ، ب : اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ .

أذهـــانهم فبنى عليها ما أراد توصيله إليهم فقال "فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ "

وهكـــذا جـــاءت " ألا " فـــي قـــوله: " ألا يعرف خيله " بالمعنى الأول للتقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرف ليبنى المتكلم باقى كلامه علـــيه ، فيكون كلامه مسلماً به ، لأنه في هذه الحالة يكون كالنتيجة المبنية علـــى مقدمات منطقية ، فيكون ذلك أدعى لاقتناع المخاطب وآكد للمعنى في ذهـــنه ، لأنـــه أقـــر أولاً بالـــصورة التى يعرفها من واقع حياته فتكون هذه الصورة طريقاً إلى معرفة المعنى الذى سيقاس عليها ، وعلى ذلك يكون قد استقر في أذهان الصحابة كيفية معرفة النبى ﷺ لأتباعه يوم القيامة . ولكن لمـــا كان الأمر يوم القيامة لا ينتهى عند هذه العلامة وحتى لا يغتر كثير من الناس ويتكلوا على هذا الأمر، نبه ﷺ أن الغرة إنما هى علامة ، لكن النجاة تكـــون بالاتـــباع ، نـــبه علـــى أن من انحرف عن طريق الله وسنه رسوله ســـيحجب عـــن ورود حوضه فقال: " ألا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلاَ هَلُمَّ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا " فجاءت " ألا " الأولى للتنبيه والإيقاظ " ألا لَيُذَادَنَّ " لتنبه الغافل والمتكل على الغـــرة والتحجيل " وجاءت " ألا " الثانية " أَلاَ هَلُمَّ " تفيد الحث والتخصيص تبـــين رغبة النبى ﷺ وحرصه على ورود أتباعه لكنهم خيبوا أمل النبى ﷺ فيهم بانحرافهم وتبديلهم لذلك لم يحزن النبى ﷺ وقال لهم " سحقا سحقاً " .

والمعنـــى الثانـــى " للتقرير بألا وهو معنى التحقيق و التثبيت ـــ وهو الذى لا يحتاج إلى جواب ـــ قد جاء في حديثه ﷺ أيضا من ذلك ما جاء في بـــاب صلاة الكسوف من حديث عائشة ـــ رضي الله عنه ـــ بعد أن وضحت صلاته ﷺ للكسوف ثم قالت :" ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَخَطَـــبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَإِنَّهُمَا لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا وَادْعُوا اللَّـــهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ إِنْ مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِىَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِىَ أَمَتُهُ . يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ».(٨٧)

(87) صحيح مسلم ج٣ ص٤٦٧ ك : صلاة الكسوف ، ب صلاة الكسوف .

ففى هذا الحديث علم النبى ﷺ أصحابه صلاة الكسوف ثم أرشدهم إلى ما ينبغى عليهم أن يفعلوه إذا حدث مثل ذلك ، فأشار عليهم بالدعاء والصلاة والصدقة ثم حذرهم من المعاصى والذنوب وخص كبيرة الزنا . ثم بعد أن انتهى من كلامه أراد أن يؤكد بأن ما قاله إنما هو من عند الله ، والنبى ﷺ مبلغ ، وقد أدى ما عليه فقال لهم " ألاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟" فتضافرت ألا مع هل في إفادة معنى التقرير للتحقيق والتثبيت ، والمعنى قد تأكد وتحقيق بلاغى إياكم وتحذيرى لكم. والهدف والغاية من وراء ذلك هو حضهم وتحريضهم على الاعتناء بما سمعوه وحفظه والعمل به .

إذن قد اتضح من خلال هذين الحديثين أن التقرير معنى من المعاني التي أفادتها "ألا " وأنه يأتي بمعنين المعنى الأول هو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرف إيجاباً أو نفياً وذلك ليبنى المتكلم باقي كلامه على هذا الإقرار .

والمعنى الثاني بمعنى التحقيق والتثبيت ليؤكد المتكلم كلامه ويحققه في ذهن المخاطب ويثبت حجته عليه .

كما يظهر لنا من خلال الحديثين أن التقرير وإن كان غرضا من الأغراض البلاغية ، لكنه لا يقصد لذاته إنما يكون طريقًا لمعنى آخر يقصد المتكلم إليه من وراء هذا التقرير، فالذى يقرر المخاطب بما يعرفه إنما يريد أن يصل من خلال إقراره إلى حقيقة أخرى يريد أن يؤكد عليها كما هو واضح في الحديث الأول ، فتقريره ﷺ لأصحابه بمعرفتهم صاحب الخيل الغر المحجلة خيلة " ألا يعرف خيله " إنما كان لهدف وهو القياس على هذا المثال الواضح معرفته ﷺ لأصحابه وأتباعه يوم القيامة .

والذي يستخدم التقرير بمعناه الآخر وهو التحقيق والتثبيت إنما يقصد من وراء ذلك معنى آخر كما هو الحال في الحديث الثاني فالنبي ﷺ عندما قال " ألا هل بلغت ؟ " بمعنى قد بلغتكم وأكدت على ذلك ، إنما أراد بذلك حضهم وحثهم على الاعتناء بما قال والتزامهم به .

فالتقرير غرض بلاغى يستخدم للوصول إلى أغراض أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالة المقام وحال المخاطب .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، والصلاة والسلام علي خير البريات ، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فقد انتهي بنا المطاف في هذه الدراسة حول " ألا " النحوية واستعمالاتها البلاغية دراسة تطبيقية علي جملة من أحاديثه ﷺ في صحيح مسلم تعرفنا من خلالها علي المعاني التي اكتنفتها هذه الأداة في بيانه ﷺ حسب السياق والمقام ومقتضي حال المخاطب ، فهي أداة متغيرة المعاني متنوعة الدلالات بتغير السياقات وتنوع الأحوال.

ومن خلال جملة الأحاديث التي تعرضت لها انتهت الدراسة إلي عدة نتائج أهمها:

أولا: أن هذه الأداة علي الرغم من كثرة المعاني التي أفادتها ودلت عليها بمساعدة القرائن والأحوال لم تنل حظًا كافيًا من الدراسة النظرية التقعيدية عند علماء البلاغة ، فإنهم لم يتعرضوا لها إلا في موضع واحد ولم يكن الحديث عنها مباشراً، بل كان عارضًا في ثنايا الحديث عن التمني وإفادة هل له ، ثم تحدثوا عن حروف التنديم والتحضيض هلا وألا ولولا ولوما وأنها تفيد التمني ليتولد منه التنديم أو التحضيض وقالوا إنَّ ألا منقلبة عن هلا ، فلم تنل هذه الأداة حظاً في الدراسة كأمثالها من أساليب الإنشاءالتي تكلم علماء البلاغة في إفادتها لكثير من المعاني البلاغية، وقد كشفت هذه الدراسة عن بعض المعاني التي أفادتها هذه الأداة.

ثانيا: أن هذه المعاني التي كشفت عنها الدراسة ليست كل المعاني التي يمكن أن تستفاد من هذه الأداة ، فهي يمكن أن تفيد أكثر من ذلك ، ولكن الدراسة اقتصرت النماذج التي وردت في صحيح مسلم موطن الدراسة، وذلك من باب إعطاء أمثلة من معانيها وليس من باب الحصر ، إذ معانيها كثيرة ومتنوعة تشبه في كثرتها وتنوعها معاني الأساليب الإنشائية.

ثالثا: كان أكثر المعاني التي أفادتها " ألا " ظهورًا واستعمالاًفي هذه الدراسة معني التنبيه والاستفتاح ، وهذا لورودها كثيرًا في أول الكلام ، فيستفتح بها علي المخاطب حتي يتنبه ويتيقظ ، وبخاصة عندما يكون الكلام الذي ياتي بعدها مهمًا وخطيرًا، وكذلك لأن من سمات المتحدث البليغ أنه

يجـذب المستمع إليه ويلفت انتباهه حتي يقع الكلام من قلبه موقعًا حسنًا ، فهو دائمًا يستخدم أدوات التنبيه والاستفتاح بين يدي كلامه.

رابعـا: لـم يشترط العلماء لهذه الأداة في دخولها علي الكلام شرطاً معيـناً إلا في بعض المعاني ، كاشتراط الاستقبال في معني التحضيض،لأنه حث علي فعل شيء ، فلابد أن يكون ذلك في المستقبل ، وكاشتراط الماضي فـي معني التوبيخ والتأنيب ؛ لأنه إنكار علي فعل قد وقع وكان ، ولكن في غيـر ذلـك تدخل علي سائر الكلام ، فقد رأيناها دخلت علي الجملة الاسمية وعلـي الجملـة الفعلـية ، وكذلك رأيناها دخلت علي الجملة المثبتة وعلي الجملـة المنفـية ، ورأيناها أيضًا دخلت علي أول الكلام وفي وسطه وفي آخره ، علي حسب ما يقتضيه المقام والمعني الذي تؤديه.

خامسا: أن المعاني التي تفيدها " ألا " أحيانًا تكون متقاربة ومتداخلة، والـذي يميـز بين هذه المعاني هو السياق والمقام وحال المخاطب ، فمثلا الفـرق بـين التحـضيض والعـرض يكمـن في درجة الحث ، فالحث في التحضيض يكون بشدة وإزعاج ورغبة شديدة في إنفاذ العمل ، وفي العرض يكـون بلطـف ولين ، فهو لا يصل إلي حد الأمر ، إنما هو مجرد تنبيه إلي الأفـضل ، وكذلك الفرق بين الزجر في معني التوبيخ ومعني التأنيب واللوم يكمـن فـي درجـته، والذي يحدد المطلوب هو حال المخاطب وما يقتضيه المقام.

سادسـا: قـد تتآزر " ألا " مع غيرها من الأدوات للتأكيد علي معنىً معـين ، فقـد تـدخل علـي أدوات كإن ، واللام ، واسمية الجملة ، ويكون الغـرض مـن ذلـك هـو تقرير معنى معين ، وتحقيقه وتثبيته في نفوس المخاطبين.

هذه هي بعض النتائج التي خلصت إليها الدراسة ، والتي أسأل الله أن ينفع بهـا القارىء ، وأن يجعل هذه الدراسة سبيلاً لمرضاته تعالي، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه وصل اللهم علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

المراجع والمصادر

- إتحاف القارئ باختصار فتح البارى اختصار وتعليق صفاء الضوى العدو ى ط : دار ابن الجوزى الطبعة الأولى ١٩٩٣م .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب ط : مطبعة الخانجى القاهرة ت : د/رجب عثمان محمد .
- الأزهية في علم الحروف للهروي تحقيق عبد المعين الملوحى ط : مجمع اللغة العربية بدمشق
- الأمالى الشجرية لابن الشجرى ط : دار المعرفة بيروت .
- الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب تحقيق موسى العليلى ط وزارة الأوقاف العراقية .
- الإيضاح للخطيب تحقيق د عبد القادر حسين مطبعة الآدب مصر.
- بديع القرآن لابن أبى الإصبع مطبعة نهضة مصر ت حفنى محمد شرف .
- بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ط مكتبة الآداب .
- بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل للإعجاز تحقيق خلف الله وسلام ط : دار المعارف .
- تحرير التحبير لابن أبى الإصبع المصري تحقيق حفني محمد شرف ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .
- تحفة الأحوذي لشرح جامع الترمذى للمباركفورى ط : دار إحياء التراث العربي بيروت ط : ١٩٩٨م
- التكرار بلاغة د / إبراهيم الخولى ط : الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٩٣م .
- الجنى الدانى في حروف المعانى للمرادى تحقيق فخر الدين قباوة ط : دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .
- حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن الشروح .
- الحديث النبوى من الوجهة البلاغية د:عز الدين على السيد .
- دارسة تفصيلية لبلاغة عبد القاهر الجرجانى تأليف د/عبد الهادى العدل المطبعة المنيرية ـ الطبعة الثانية ١٩٥٥م .

١٧- دلالات التراكيب د / محمد محمد أبو موسى ط : مكتبة وهبة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٧م .
١٨- ديوان حسان بن ثابت ط : دارصادر بيروت ١٩٦١م .
١٩- ديوان عمرو بن كلثوم ت د/ علي أبوزيد ط : دارسعدالدين دمشق الطبعة الأولي ١٩٩١م .
٢٠- ديوان قيس بن الملوح ت: عبدالستار أحمد فراج ط : دارمصر للطباعة .
٢١- رسالة البيان ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز تحقيق خلف الله وسلام ط : دار المعارف.
٢٢- رصف المبانى للمالقى تحقيق أحمد محمد الخراط مجمع اللغة العربية بدمشق .
٢٣- روائع المعانى د/ عبد الحميد محمد العبيسى مطبعة حسان ١٩٧٣م الطبعة الأولى .
٢٤- شرح كافية ابن الحاجب للرضى تحقيق أحمد السيد أحمد ط : المكتبة التوفيقية .
٢٥- شرح النووى على صحيح مسلم ط : دار الحديث تحقيق عصام الصبابطى وآخرين .
٢٦- شواهد التوضيح لابن مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط مكتبة دار العروبة .
٢٧- صحيح البخاري دار ابن كثير بيروت تحقيق مصطفى ديب البغا وآخرين .
٢٨- صحيح مسلم بشرح النووي تحقيق عصام الصبابطي .
٢٩- عمدة القارى شرح صحيح البخاري ط دار إحياء التراث العربي بيروت.
٣٠- فتح البارى ط : دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ .
٣١- الفروق اللغوية لأبى هلال تحقيق حسام الدين القدسي ط : مكتبة القدس القاهرة .